



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم حضارة إسلامية



الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني (دراسة تحليلية)

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس
في العلوم الإسلامية - تخصص: لغة ودراسات قرآنية

المشرف:

حمزة بوخرنة

الطلبة:

- مسعي أحمد إنتصار

- جميل إيمان

- بن خليفة إلهام

- عاد نورة

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص

تتناول هذه الدراسة رسالة الشيخ عبد القادر الجرجاني (ت 471 هـ) : الرسالة الشافية
بالتحليل ، حيث تناولت في **المبحث الأول** : التعريف بالشيخ ورسالته تم عرضنا في
المبحث الثاني : موضوعات الرسالة الشافية وتحليلها وبيننا فيه أهم معالم منهج الشيخ في
رسالته ، وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج ' أهمها : أصالة هذه
الرسالة في تقرير حقيقة الإعجاز ونقص القول بالصرفة إضافة إلى الأثر الكبير الذي
أحدثته هذه الرسالة في الدراسات القرآنية .

Summary

This study deals with the message of Shaykh 'Abd al-Qadir al-Jarjani (d. 471 e): The healing message in analysis, which dealt with the first topic: The definition of the Sheikh and his message was presented in the second topic: Topics of the healing message and its analysis and the most important features of the Sheikh's approach in his message. The study is based on a set of results. The most important of these is the originality of this thesis in the report on the reality of miracles and the lack of pure words, in addition to the great impact that this message has caused in Qur'anic studies.

الإهداء

نهدي هذه الرسالة إلى

أوليائنا وأمهاتنا ولهم منا

خالص البر والمحبة والى

كل من له فضل علينا

الشكر و التقدير

ولئن شكرتم لأزيدنكم

وانطلاقاً من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم

" لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

فإننا نجد والزاماً علينا أن نتقدم بالشكر والتقدير لأستاذنا حمزة

بوخرفة بإرشاداته ونصائحه، الذي أفاض علينا ، وكان خير من

وعون في إنجاز هذا العمل ، منذ أن كانت الرسالة فكرة ثم خصة

حتى امتوت على حالها الأخير وكان لنا حظه وافر من أخلاقه

الرفيعة ، فقد فتح لنا قلبه وعقله فله منا كل الوفاء والشكر و

التقدير

المقدمة

مقدمة

إن الحمد لله رب العالمين الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه خاتم النبيين وإمام المرسلين، جدد به الله رسالة السماء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق وعلى آله وصحبه القر الميامين، وعلى التابعين ومن سار على هديه الى يوم الدين ...

أما بعد:

فإن الكتابة عن القرآن الكريم وكشف وجوه إعجازه لا تنقطع مادام الزمان، وقد بذل العلماء الأقدمون والمحدثون جهودهم في تجلية هذه الوجوه، وتقرير روافد الإعجاز ورد الشبهات التي ينفثها من قلوبهم زيغ حول القرآن الكريم مضمونا وتأصيلا.

أهمية الدراسة:

من خلال ما سبق، تتجلى لنا أهمية هذه الدراسة كونها تعرض، لما يلي:
-أولا- علم من أعلام اللغة والبلاغة، وهو الإمام عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- وما أحدثه هذا العالم في مصنفاته من ثورة فكرية كبيرة في تجلية وجوه الإعجاز القرآن، وغيرها من المصنفات وهو واضح نظرية "النظم".
-ثانيا- في تناولها الرسالة الشافية الغزيرة بالفكر البلاغي تأصيلا وبيانا، وهي ثلاثة الأثافي في رسائل الإعجاز بعد رسالتي الرماني والخطابي -رحمهما الله- بعرض موضوعاتها، ومحاولة تحليلها مع ذكر توابعها الملحقه.

الإشكالية:

الإشكال الرئيسي الذي تمحورت حوله هذه الدراسة، هو كالاتي:
ما هي الموضوعات والقضايا التي جاءت بها رسالة الشيخ عبد القاهر الجرجاني؟ وما منهجه فيها؟ وكيف كان يناقش أفكارها ويعرضها للقارئ؟

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي:

1/ الرغبة في الإحاطة والإلمام بكل ما يتعلق بهذا العالم الفذ، وكذلك دراسة جزء من أهم مؤلفاته للاطلاع على فكره وطريقة تفكيره البلاغي، ونظرته لإعجاز القرآن الكريم.

2/ شغفنا للتعرف على هذه الرسالة وعلى موضوعاتها وفصولها وقضاياها ودراساتها دراسة تحليلية، وكذلك إعطاء هذا العالم جزء من اهتمامنا عرفانا بما قدمه من إنجازات في هذا مجال وغيرها من المجالات.

3/ كثيرا ممن عرض لهذه الرسالة غاب عنه موضوعها الرئيس الذي وضعت لأجله، إما لتعجل في الحكم أو قصور في متابعة قراءتها لاسيما وقد عراها أحيانا صعوبة الأسلوب وغموض العبارة وكثرة التفرعات، وما يتخللها من عرض للشبه في أثناء تقرير الحقائق.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحليل الرسالة الشافية وبيان موضوعاتها وفقراتها وقضاياها بطريقة علمية.
2. إبراز ترجمة عن عبد القاهر الجرجاني ومنهجه ومؤلفاته والقيمة العلمية لهذه الرسالة.

الدراسات السابقة:

هناك الكثيرون الذين عرضوا لما جاء في الرسالة الشافية على وجه العموم ممن كتبوا في الإعجاز وأعلامه، ومنهم د/ حقني شرف ود/ عبد الرؤوف مخلوف ود/ منير سلطان ... وغيرهم ولكن الذي يعنينا هنا هو المصنفات القليلة التي أخذت على عاتقها شرح ما جاء في الرسالة الشافية على وجه الخصوص، ولعل أهم هذه المصنفات:

- 1) الرسالة الشافية في الإعجاز شرح وتفسير مع دراسة في وجوه الإعجاز، د/ عبد القاهر حسين 1997م، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م.
- 2) شرح الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم، للدكتور عمر محمد عمر كريم، منشورات دار المأمون للتراث، في دمشق وبيروت، ط1، 1997م.

صعوبات الدراسة:

من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي:

1. تشعب موضوع هذه الدراسة وكثرة الآراء فيها.
2. قلة المصادر والمراجع المتعلق بهذا الموضوع.

المنهج المعتمد في الدراسة:

والمنهج الذي اتبعناه في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي حيث يوصف ترجمة عن حياته وتحليل الرسالة الشافية وموضوعاتها ومنهجه فيها.

ولقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة على نحو التالي:

المبحث الأول: ترجمة لحياة عبد القادر الجرجاني وآثاره وبه ثلاثة مطالب تمحورت حول حياته، مؤلفاته

ولمحة عن جهوده والتعريف بالرسالة وقيمتها و**المبحث الثاني:** موضوعات الرسالة الشافية (دراسة تحليلية

وبها مطلبان ويحتويان على قسمين مهمين في الرسالة وهما إثبات إعجاز القرآن الكريم للعرب حيث

تحدوا الى المعارضة والثاني هو مناقشة قضية الصرفة وقد جعلها في فصل خاص.

وأخيرا لا ندعي في هذا كله العصمة من الزلل، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي

الشیطان والحمد لله في كلتا الحالتين.

المبحث الأول:

ترجمة الإمام عبد القاهر

الجرجاني وآثاره

المبحث الأول: ترجمة الإمام عبد القاهر الجرجاني وآثاره

المطلب الأول: حياة الإمام عبد القاهر الجرجاني

1- اسمه ونشأته:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، الإمام النحوي اللغوي المشهور الفقيه الشافعي، المتكلم الأشعري، الفارسي الأصل جرجاني الدار¹ لم يذكر المؤرخون سنة مولده. نشأ الإمام عبد القاهر الجرجاني في مدينة جرجان، وهي مدينة تقع بين طبرستان وخراسان في بلاد فارس²، ويبدو أنه عاش حياته في ظل أسرة فقيرة بعيدة عن رغد العيش، فبدأ حياته بالتقشف والزهد والورع، وانصرف عن اللهو والترف، ولما كان فقيراً فإنه لم يخرج لطلب العلم، وإنما تعلم في جرجان، وقرأ كل ما وصلت إليه يده من كتب؛ فقرأ للكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب فتعمقت عنده ملكة حب العلم³، وكان يتمتع بشخصية فذة مكنته من الوقوف على أسرار البيان العربي وكان موسوعي المعرفة؛ لبراعته في مجالات البلاغة والنحو والأدب.

¹ ينظر: 1- عبد الرحمن بن محمد الانباري ابو البركات كمال الدين. نزهة الالباء في طبقات الادباء. دار الفكر العربي 1412هـ-1998م. ص 264. 2- عبد الباقي علد المجيد اليماني. اشارة تعيين في تراجم النحاة اللغوية. ط1 1406هـ-1986م. حقوق الطبع محفوظة لمركز فبصل للبحوث والدراسات الاسلامية. ص 199. 3- الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير اعلام النبلاء. ط1. 1405هـ-1984م. مؤسسة الرحالة. بيروت. شارع سوريا. ج18. ص 432. 4- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز الابدادي، البلاغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ط1. 19421هـ-2000م. دار سعدين للطباعة والنشر وتوزيع. ص 186/185. 5- وزير جمال الدين حسين علي بن يوسف القفطي. أنباء الرواة على انباء النحاة. ط1. 19406هـ-1986م. دار الفكر العربي. القاهرة. مؤسسة الكتب. بيروت. ص 1988

² ينظر: 1- الشيخ شهاب الدين ابي الرومي البغدادي. معجم البلدان. ط1. دار الكتب العالمية. بيروت. 1410هـ-1990م. ص 139. 2- ابي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي. معجم ما استعجم من أسماء البلدان ومواقع. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة 1417هـ-1996م. ص 375. 3- صيفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. حراسة الاطلاع على اسماء الاماكن والقاع. تحقيق وتغليف على محمد الجاوي. دار المعرفة. ط1. بيروت 1373هـ-1954م. ص 323.

³ ينظر: 1- عبد الرحمان بن محمد الانباري أبو البركات كمال الدين. نزهة الباء في طبقات الادباء. ص 264. 2- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ط1. 1384هـ-1985م. طبع في مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. ص 106.

2- شيوخه:

اغترف الإمام عبد القاهر علمه الزاخر من يد أستاذهين كبيرين من أعلام النحو وهما :

1- أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي الفارسي نزيب جرجان¹، وأخذ أبو الحسين علم العربية عن خاله الشيخ أبي علي الفارسي صاحب كتاب (الإيضاح) حيث قرأ هذا الكتاب لتلميذه عبد القاهر، لذلك فقد عني عبد القاهر بهذا الكتاب عناية فائقة فوضع عليه شرحا بلغ زهاء ثلاثين مجلدا ، وسماه (المغني) ثم اختصر هذا الشرح في كتاب صغير سماه (المقتصد) في نحو ثلاثة مجلدات . ولأبي الحسين تصانيف متعددة منها : كتاب الهجاء وكتاب الشعر ، وتوفي في مدينة جرجان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

2- الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني المتوفى سنة أبو اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة كان أديباً أريباً كاملاً اغترف عبد القاهر من علمه وبحره ، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ² به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه . ولأبي الحسن تصانيف منها كتابه الشهير (الوساطة بين المتنبئ وخصومه)³.

3- منزلته العلمية :

برع الجرجاني في فنون شتى حيث يعد من علماء النحو والصرف والبلاغة والنقد والأدب ، وذاع صيته ، وكان ذا مكانة رفيعة في كل هذه الفنون ، وذلك ثمرة لثقافته الواسعة واطلاعه المتواصل،

¹ ينظر: 1- عبد الرحمان بن محمد الانباري أبو البركات كمال الدين . نزهة الباء في طبقات الادباء. ص 246. 2- الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير اعلام النبلاء. ط1. ج18. ص432. 3- عبد الباقي علد المجيد اليماني . اشارة تعيين في تراجم النحاة اللغوية. ص 118. 4- وزير جمال الدين حسين علي بن يوسف القفطي . أنباه الرواة على انبأ النحاة.. ج 2 . ص 188.

² تبخبخ: من مادة "بخخ" وهو اسم فعل "بخ" وهي كلمة تقال عند المدح والرضاء والاعجاب بالشيء، وتكرر للمبالغة فيقول: " بخ بخ" فإن وصلت حفظت ونونة فقالت "بخ بخ" ورب شددت كالاسم فقيل بخ . ينظر: معجم الوسيط -شوقي ضيف ط4 . 1425هـ-2004م مكتبة الشروق الدولية. ص 40.

³ الشيخ شهاب الدين ابي بن عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي.معجم الادباء. ط3 . 1405هـ -1984م دار الفكر ج14. ص 16

فانتهت إليه رئاسة النحو في زمانه ، فتصدر في جرجان ، وشدت إليه الرحال ، وقصده طلاب العلم يقرؤون عليه ويقرؤون كتبه.¹

4-تلاميذه:

تتلمذ على الإمام عبد القاهر الجرجاني مجموعة من العلماء نذكر منهم :

1-أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري أبو نصر وهو من العلماء المشهورين المبرزين في اللغة بعامة والنحو بخاصة ، له مصنفات كثيرة ، وقرأ على عبد القاهر كتاب المقتصد ، وتوفي سنة تسعين وأربعمائة.²

2- أحمد بن عبد الله المهابذي الضرير النحوي، لم تذكر التراجم عن هذا العالم سوى أنه نحوي وله كتاب شرح اللمع لابن جنبي ولم يزد على ذلك توفي سنة خمسمائة.³

3-أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الخطيب التبريزي كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب نشأ ببغداد وقرأ الأدب على الشيخ عبد القاهر كالجرجاني ، وأبي العلاء المعري وغيرهما . وأخذ عنه الخطيب البغدادي أحمد بن ثابت وابن الجواليقي وله مؤلفات منها: (تفسير القرآن العظيم واعرابه ، وشرح الحماسة ، وشرح المفضليات وشرح اللمع لابن جنبي ، وشرح ديوان المتنبي ، وشرح سقط الزند ، والكافي في العروض والقوافي ، وتهذيب إصلاح المنطق وغيرها)، وتوفي سنة اثنتين وخمسمائة.⁴

¹ ينظر: جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتايكي . نجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن طبعته دار الكتب مع استدراقات زفهارس جامعة ج5. ص108.

² جمال الدين حسين علي بن يوسف القفطي. أنباه الرواة على انباه النحاة. ج2. ص 190. - جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتايكي . نجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج 5 . ص 160.

³ يمظر: السيوطي بغية الوعاة ،ص 320

⁴ ينظر: 1- عبد الرحمن بن محمد الانباري ألو البركات كمال الدين . نزهة الالباء في طبقات الادباء. ص 27. 2- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز الابادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.ص 87. 3- عبد الباقي عبد المجيد اليماني . اشارة تعيين في تراجم النحاة اللغويين. ص382. 4- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.ص 338. 6- جمال الدين حسين علي بن يوسف القفطي . أنباه الرواة على انباه النحاة. ج4. ص 22.

3- أبو الحسن علي بن أبي زيد بن محمد بن علي الفصيح: سمي بالفصيح لكثرة تدريسه فصيح ثعلب قرأ النحو على عبد القاهر وبرع فيه حتى صار من أعرف أهل زمانه به ، أخذ عنه جماعة منهم : أبو نزار النحوي الحسن بن صافي أبي الحسين الملقب بـ "ملك النحاة" ، وأبو الفوارس الصيفي الشاعر الملقب بـ "حيص بيص" . "توفي سنة ست عشرة وخمسمائة ببغداد.¹

5- أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأبيوردي :أحد قراء أبيورد ، أديب ولغوي وشاعر ومؤرخ .أخذ العربية عن عبد القاهر الجرجاني ، وقال الأبيوردي في الجرجاني : "ما مقلت عيني لغويا مثله" وكان فاضلا في العربية والعلوم الأدبية نسابة ليس مثله ، متكبرا عظيما وكان حسن السيرة جميل الأمر **منظرا** من الرجال.

وله تصانيف كثيرة منها: (تاريخ أبيورد ، والمختلف والمؤتلف، ونهرة الحافظ) وغيرها .توفي فجأة مسموما بأصفهان يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة.²

5- رأي العلماء فيه:

أثنى عليه كثير من العلماء الذين ترجموا له ونعته بمختلف النعوت وهذا بعض ما قيل فيه:

1- الاتفاق على إمامته ، وأنه فرد في علمه الغزير ، وهو العلم الفرد في الأئمة المشاهير³

2- أنه من كبار أئمة العربية وشيوخها ، ومن علماء المعاني والبيان ، وأول من دون علم البيان.

¹ 1- عبد الرحمن بن محمد الاتباري ابو البركات كمال الدين . نزهة الالباء في طبقات الادباء. ص 274. 2- جمال الدين حسين علي بن يوسف القفطي . أنباه الرواة على انبأه النحاة. ج.2. ص 306. 3- عبد الباقي علد المجيد اليماني . اشارة تعيين في تراجم النحاة اللغويين. ص227.

² 1- الدين حسين علي بن يوسف القفطي . أنباه الرواة على انبأه النحاة. ج.3. ص 49-52. 2- محمد رضا كحالة . معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية. دار إحياء التراث.بيروت. ج.8. ص 314

³ 1- الامام عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي. شرح الجمل في النحو .ط10. دار الحزم . بيروت. 1432هـ -2011م.ص 129. 2- الامام عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي. مقاصد في شرح الرسالة والايضاح. ص44

3- أنه مقصد العلماء من جميع الجهات.¹

4- أنه متدين ورع قنوع، فقد دخل عليه لص، وهو في الصلاة، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، ولم يقطع صلاته.

5- وأيضا قول السلفي: سمعت أبا محمد الأبيوردي يقول: "ما مقلت عيني لغويا، وأما في النحو فعبد القاهر الجرجاني"²

6- مذاهبه النحوية:

عرف بميله للمدرسة البصرية، إن معظم الكتب التي ترجمت لعبد القاهر الجرجاني، لم تصرح بمذهبه النحوي، ولكن هناك من الدلائل ما يدلنا على ميله للمنهج البصري كما يلي - :إشارته إلى البصريين بقوله: (أصحابنا) في عدة مواضع.³

وكذلك فإن المتطلع لكتب عبد القاهر النحوية يجد أنه يذكر سيئويه كثيراً ويسترشد بآرائه بل يجعلها في كثير من المواضع أصلاً ينطلق من خلالها ويدعم بها قضاياه فمثلاً يقول: قال صاحب الكتاب: "هذا باب علم ما الكلم من العربية، فالكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم رجل وفرس ونحوهما"⁴، وغير ذلك كثير، وكان أيضا يستشهد بكثيراً من آراء نحاة البصرة فيتبنى آرائهم ويسوق حججهم ويعلل بعلمهم وينهج نهجهم أمثال يونس بن حبيب، وأبي الحسن الأخفش، وابن السراج وغيرهم.

¹ ينظر: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري، دمية القصر وعصرة أهل العصر. دار الفكر العربي. ج2 ص12

² ينظر: 1- عبد الباقي عبد المجيد اليماني. إشارة تعيين في تراجم النحاة اللغويين. ص 188. 2- الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير اعلام النبلاء.. ج18. ص 432. 3- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز الابادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. ص134. 4- جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتايكي. نجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج5. ص 108.

³ الحافظ الشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي. طبقات المفسرين. ط2. 1415هـ-1994م. مكتبة وهبة. ص 331.

⁴ الامام عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي. مقتصد في شرح الرسالة والايضاح. دار الحديث. العراق. 1430هـ-2009م. ج1. ص 161-387. ج2 ص 67-331.

وقد أشار الدكتور فؤاد مخيمر إلى ميل عبد القاهر الجرجاني تجاه المدرسة البصرية في النحو ، وهو ما استشعره من خلال كتاب دلائل الإعجاز حيث يجنح فيه الجرجاني تجاه المذهب البصري.¹ لذلك يمكن القول : أن الإمام عبد القاهر على الرغم من كونه تتلمذ على يد نحاة بغداد ومؤلفاتهم إلا أنه قرأ كتب النحو البصري ، وتفحصها ، وأخذ زبدتها وكانت جذورا لفلسفته النحوية في تراثه النحوي.

المطلب الثاني: مؤلفات الجرجاني ووفاته ولمحة عن جهوده:

كان عبد القاهر الجرجاني ذا بصيرة ناقدة، ووعي كامل في الاستيعاب وله قدرة فائقة في التدوق، وطبع سليم في تفهم الاساليب العربية شعرا ونثرا . وفقه كل ذلك لأن يؤلف مصنفات موزعة على علوم العربية والدين، إذ ألف في النحو، والصرف، والعروض والأدب، والبلاغة، والتفسير ، وقد نشر بعض هذه المؤلفات ، وبعضها لا يزال مخطوطا، وقسم ثالث لا يعرف منها إلا اسماءها.

يمكن تقسيم مؤلفات الجرجاني الى خمسة أقسام هي:

1- ما ألف في النحو:

مؤلفات عبد القاهر الجرجاني النحوية تنتظم في مجموعتين هما :

المجموعة الأولى :

مجموعة العوامل المائة و شرحها، ومنها كتاب " الجمل" ، وكتاب " العوامل المائة" ليس فيها اراء خاصة أو افكار المناقشة أو تدعو الى الجدل أو التأمل ، و إنما هي أبواب أو عرض لرؤوس موضوعات فحسب.

1 ينظر: فؤاد علي مخيمر ، فلسفة النحوية في دلائل الإعجاز. دار الثقافة والنشر والتوزيع .شارع سيف الدين المهرواني ص 14.

المجموعة الثانية : مجموعة شروح الإيضاح،¹ وهي :

- 1- الأيجاز: وهو من كتب عبد القاهر الجرجاني المفقود.
- 2- المغني في شرح الإيضاح.
- 3- المقتصد في شرح الإيضاح²
- 4- كتاب في شرح التكملة وموضوعه في الصرف و اللغة.

ومما صنفه الجرجاني في النحو :

- 1- التلخيص: صنف عبد القاهر الجرجاني كتاب " التلخيص في شرح الجمل " وذكر هذا المصنف السبكي³، و أورده كذلك البستاني.⁴
- 2- الجمل في النحو: صنف الجرجاني كتاب " الجمل " وشرحه، وهو كتاب مشهور بكتاب : التلخيص في شرح الجمل ، وهذا الكتاب مختصر لكتاب يقال له "الجرمانية" وهو على خمسة فصول الأول في المقدمات ، والثاني في عوامل الأفعال، والثالث في الحروف، والرابع في عوامل الاسماء، والخامس في أشباه المنفردة، وله شروح منها شرح أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن الخشاب البغدادي(ت567هـ) سماه " المرتجل "، وترك أبوابا من وسط الكتاب، ولم يتكلم عنها ، وشرح أبو محمد لن عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي (ت521هـ)، وشرح أحمد بن عبد الله

¹ ابي علي الحسين بن احمد الفارسي النحوي. كتاب الايضاح .كتاب متوسط الحجم مشتمل على 196 باب منها 166باب في النحو الباقي في الصرف ...

² هو شرح عبد القاهر الجرجاني.لكتاب المقتصد "حيث كتب اولاً شرحاً مبسطاً في النحو ثلاثين مجلدات سماها "المغني" ثن لخصها في مجلدين سمهما المقتصد وهذا المصنف ذكره البستاني .دائرة المعارف. محمد فريد وجدي .دار الفكرى. بيروت .ج.6. ص426.

³ الشيخ الاسلام وعلم الاعلام. حجة الحفاظ والمفسرين. سيف النظار والمتكلمين ناصر السنة مؤيد الملة تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي رضي الله عنه ونفعنا به. طبقات الشافعية الكبرى .ط.1. ج.5. ص 150.

⁴ بطرس البستاني. دائرة المعارف . دار الفكر بيروت ج.6. ص 426.

الشريشي (ت616هـ) وأيضاً شرح أبو الحسن علي بن الحسين الباقر، وسماه "الجواهر في شرح عبد القاهر"¹ ذكر هذا المؤلف الزركلي،² والذهبي،³ والبستاني،⁴ كذلك أورده السيوطي⁵.

3- العوامل المائة: هو كتاب مشهور ومتداول، وهو أصغر كتبه حجماً ولا يتجاوز بضع الصفحات عدد فيه باقتضاب شديد العوامل النحوية جميعها من أسماء وأفعال وأدوات - اللفظي منها و المعنوي - دون شرح أو استزادة فهو اقرب ما يكون تعداداً للعوامل فقط.، شرحه حاجي بابا الطوسي، وعلق عليه السيد الشريف علي الجرجاني (ت810هـ)، وشرحه يحيى بن يحيى (900هـ) وسماه "لمع المسائل النحوية"⁶، ذكر هذا المصنف السبكي⁷، و الزركلي⁸، وابن العماد الحنبلي⁹، والبستاني¹⁰.

¹ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الحاجي خليفة. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. ط1. 1990م. دار الفكر. بيروت. ج1. ص 602-603.

² خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. الاعلام لزركلي. ط15. 2002م. دار العلم للملايين. ج4. ص374.

³ الذهبي. سير اعلام النبلاء. ج4. ص174.

⁴ بطرس البستاني. دائرة المعارف. دار الفكر بيروت ج6. ص 426

⁵ جلال الدين السيوطي. بغية الوعات. ج2. ص106.

⁶ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الحاجي خليفة. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. ج7. ص1180.

⁷ السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. ج5. ص150.

⁸ الزركلي. الاعلام. ج4. ص 370.

⁹ ابن العماد الامام شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط1. 14410هـ -1989م. دار ابن كثير. دمشق-بيروت. ج4. ص 33.

¹⁰ البستاني. دائر المعارف. دار الفكر بيروت ج6. ص 426

2- ما ألفه في الصرف:

1- العمدة في التصريف: صنف عبد القاهر الجرجاني كتاب "العمدة في التصريف" كما ألف كتاب "المفتاح في الصرف" ذكر هذا من المؤلفين ابن العماد الحنبلي¹، والسبكي²، وأورده كذلك الذهبي³، وحاجي⁴، والبستاني⁵.

2- ألف عبد القاهر الجرجاني ستة أبيات في فعل الأمر، الباقي على حرف واحد، وتلك الأفعال هي:

- 1) فعل "وفى" والأمر منه للمخاطب "ف".
- 2) فعل "وقى" والأمر منه للمخاطب "ق".
- 3) فعل "وعى" والأمر منه للمخاطب "ع".
- 4) فعل "ولى" والأمر منه للمخاطب "ل".
- 5) فعل "ودى" والأمر منه للمخاطب "د".
- 6) فعل "رأى" والأمر منه للمخاطب "ر".

ج- ما ألفه في القرآن وإعجازه:

1- كتاب شرح الفاتحة: صنف الجرجاني كتاب "شرح الفاتحة" في مجلد واحد فسرفيه سورة "الفاتحة" ذكر هذا المؤلف ابن العماد السبكي، والذهبي، والبستاني.

¹ العماد الامام شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج.4. ص.33.

² السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. ج.5. ص.150.

³ الذهبي. سير اعلام النبلاء. ج.18. ص.432.

⁴ الحاجي خليفة. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. ج.2. ص.1169.

⁵ البستاني دائرة المعارف . دار الفكر بيروت. ج.6. ص.426.

⁵ البستاني. دار المعارف و دار الفكر بيروت ج.6 . ص 426

2- كتاب في إعجاز القرآن : أما كتابه في إعجاز القرآن فهو غاية في الحسن والبراعة ولم يسبق أحد إلى مثله¹، كتاب " إعجاز القرآن دل على معرفة بأصول البلاغة ، ومجاز الإيجاز في القرآن ، وله مسائل منشورة أثبتها في كتابه هذا . أورد هذا المؤلف "إعجاز القرآن الزركلي ، والذهبي ، وذكر السبكي أن الجرجاني قد صنف مؤلفين في الإعجاز القرآن هما :

أ- إعجاز القرآن الكبير

ب- إعجاز القرآن الصغير²

- الرسالة الشافية : لعبد القاهر الجرجاني ، وضعها ليثبت حقيقة الإعجاز في القرآن العظيم، لا لبيّن أسرارها، كما فعل في "الدلائل" فهي أحوال تبين عجز العرب حين تحدوا القرآن وزعموا أنهم قادرين على الإتيان بمثله

تحدث في الرسالة عن تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ و المجاز وغيرها، وتنفيذه لرأي القائلين بالصرفة على ذوق الذي يرجع إليه فهم الكلام والبيان

6- ما ألفه في البلاغة:

1-دلائل الاعجاز : هو كتاب "دلائل" من أعظم كتبه، وأشهرها ويقول الجرجاني في سبب تصنيفه لهذا المؤلف: (ثم دان التوق إلى أن تقر الأمور قرارها وتوضع الأشياء مواضعها ونزاع إلى بيان ما يشكل وحل ما ينعقد وكشف عما يخفي وتلخيص الصفة التي يزداد السامع ثقة بالحجة، واستظهارها على الشبهة واستبانته بالدليل وتبياننا للسبيل شيء في وسواس العقل، في طباع النفس إذا كانت نفساً،....)³

¹ البستاني. دائر المعارف . دار الفكر بيروت ج6 . ص 426.

² القفطي. إنباه الرواة على أنباه النحاة. ج2. ص191.

³ عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي. دلائل الاعجاز. ص34.

فهدف الجرجاني من هذا المؤلف المفيد هو خدمة الدين والعقيدة واثبات أن بلاغة الكلام قد تكون في النظم وأن القرآن معجزة بالنظم لا بالصرف. ذكر هذا المصنف الزركلي¹ و الذهبي² و الفيروز ابادي³.

2-أسرارالبلاغة: تكلم الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" عن لبعض فنون البلاغة من فن البديع والمباحث في علم البيان وكان يرمي إلى أبعد مما رمى السكاكي حيث حصر البلاغة في علمي "البيان والمعاني" وذلك عندما رأى الجرجاني أن هنالك علما واحدا غاية الدراسة أن يستثير الأسرار التي ترفع من قدرة الكلام وتحل ذروة الفصاحة.

تحدث في مطلع الكتاب عن "الجناس والسجع" كذلك تحدث عن الاستعارة وأنواعها "مفيدة والغير مفيدة" والتشبيه بأنواعه⁴.

- وفاته :

إختره ربه إلى جواره بعد أن أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والمتعددة الضروب والمجالات مخلفا بصمات عبقريته وقدرته على الابتكار.

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة عبد القاهر الجرجاني حيث ذهب طائفة منهم أنه توفي سنة (471هـ) وطائفة ذهبت الى أنه توفي (474هـ) وطائفة ثالثة ذكرت التاريخين معا. ومن الذين ذكروا أنه توفي

¹ الزركلي. الاعلام. ج4. ص 150.

² الذهبي. سير اعلام النبلاء. ج18. ص 432.

³ مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز الابدائي، البلاغة. ص127.

⁴ الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة. ط 1. 1991 م. دار المدني ص04-06هـ.

سنة (471هـ) البستاني¹ و ابن تغري² والقفطي³ والذين ذكروا انه توفي 474 هـ اليافعي⁴ و الذهبي⁵. وقد كانت وفاته في مدينة جرجان⁶.

لمحة عن جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية :

تشير مؤلفات الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى أنه قد ألم بأغلب ما صنفه السابقون عليه في علوم الدين والفلسفة والكلام والأدب واللغة وكذلك علم البلاغة الذي يعد من أجل العلوم وأشرفها وهو من العلوم الشريفة التي نشأت في ظل الدراسات القرآنية وسائر علوم العربية. وقد كان لعبد القاهر أثر كبير ، ومكانة عظيمة في تاريخ البلاغة العربية ، فهي لم تكن قبله إلا أفكارا متناثرة ، وعبارات مفرقة ، ومعلومات متداخلة ، بل ربما كان يتخللها شيء من الخطأ ، ولكنه بوضعه كتابي (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) قد أزاح عن البلاغة ما كان يكتنفها من لبس وغموض ، وبذل في ذلك جهودا جبارة حتى استطاع في النهاية أن يضع لنا أسس علم المعاني ، وعلم البيان⁷ ، ويؤكد ذلك ما قاله السيد يحيى بن حمزة العلوي صاحب (الطراز في علوم حقائق الإعجاز) في صدر كتابه : "أن أول من أسس من هذا الفن قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتب أفانيه الشيخ العالم النحرير⁸ ، علم المحققين عبد القاهر

¹ البستاني. دائرة المعارف . دار الفكر بيروت ج6 . ص 426

² ابن تغري . النجوم زاهرة. ج5. ص108.

³ القفطي. انباء الرواة. ج2. ص108.

⁴ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. دار النشر المكاتب الاسلامي. القاهرة. ج4. ص101.

⁵ الذهبي الحافظ. العبر في خبر من غير . ط1. 1405هـ-1985م. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ج2. ص 380.

⁶ ينظر : 1- القفطي. انباء الرواة. ج2 ص189. 2- اليماني . إشارة التعيين . ص 189. 3- الفيروز أبادي . البلغة ص 186.

⁷ عبد القاهر حسين . اثر النحاة في البحث البلاغي . دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 1998م. ص444.

⁸ نحرير: من مادة "نحر" وهو الرجل الطين الفطن المنقن البصير الحادق غي كل شيء وجمعه "النحارير" 1- ابو منصور محمد بن أحمد الأزهرى . تهذيب اللغة. دار المصرية للتأليف والترجمة. ص 11. 2- الكفاة الصادق اسماعيل بن عباد. المحيط في اللغة . ط1. عام الكتب . بيروت . 1414هـ. 1994م. ص 82.

الجرجاني ، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاهره من أكامها ، وفتح أزراره بعد استغلاقها واستبهاها ...، وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار البلاغة وكذلك ما قاله الفخر الرازي في مقدمة كتابه : "وفق الله تعالى الإمام مجد الإسلام -عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني -حتى استخراج أصول هذا العلم وقوانينه، ورتب حججه وبراهينه، ...وصنف في ذلك كتابين لقب أحدهما (دلائل الإعجاز) والثاني (أسرار البلاغة) ، وجمع فيهما من القواعد الغريبة، والدقائق العجيبة، والوجوه العقلية ، والشواهد النقلية، واللطائف الأدبية، والمباحث الغريبة، ما لا يوجد في كلام من قبله من المتقدمين ولم يصل إليها غيره من العلماء الراسخين .."¹

ولقد خطى الإمام عبد القاهر خطوات عظيمة للنهوض بعلم البلاغة إلى الأمام حتى وصل إلى مرحلة النضج والاكتمال ، لذلك نجد في كتابيه الدلائل والأسرار يقيم أسس البلاغة واضحة متميزة المعالم ، محددة الصفات ، وقد عالجها معالجة أدبية صرفة لم تخل من خصائص النقد وفضائل الذوق، وأقام نظريته العظيمة في النظم على أسس من تركيب الكلام وتأليف النحو، حيث ألبسها ثوبا جديدا لم يكن معروفا من قبل.

ويوضح ذلك الدكتور إبراهيم التلب بقوله : "لقد قرأ عبد القاهر معارف سابقه وأكب على تراث اللغوي والنحوي والبلاغي فاستوعب محتواه ، وهضم أفكاره ، ثم أخرجها للدارسين في ثوب جديد ، فاتسم البحث البلاغي عنده بالخصوبة والعمق ودقة النظر وسعة الأفق ، حيث كان يحتكم إلى الذوق ويعمل عقله في استشفاف مرامي النص واستكناه أسراره وسير أغواره"²

فبعد القاهر الجرجاني يعد عالماً بلاغياً لأنه نهج منهج البلاغيين في التماس الحد الجامع المانع لكل فن من فنون البلاغة، وعنايته باستخراج الأقسام وشمولها لعلم المعاني والبيان.³

¹ الإمام فخر الدين الرازي.نهاية الايجاز في دراية الإعجاز. ط1.1424..هـ-2004م. دار صادر. بيروت. ص 06

² إبراهيم عبد الحميد التلب. البديع بين المتقدمين والمتأخرين. ط1. مكتبة الازهرية للتراث. ص163.162.

³ فؤاد مخيمر فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية. ص 308.

ومكانة كتابه (دلائل الإعجاز) امتازت على كتب البيان فيما وضعه السابقون، وقد تحدث الإمام عبد القاهر في هذا الكتاب قائلاً: "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب وُرداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان.

ثم أشار إلى نظرية النظم والتي بها أحس بجمال النظم العربي وبلاغته فبين أن الناظم إذا أراد أن ينظم كلاماً في أي غرض فإنه يبدأ بترتيب المعاني في نفسه أولاً، ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ، وعلى ذلك فالذي يطلق عليه النظم هو ترتيب المعاني في النفس، لا ترتيب الألفاظ في النطق، لأن النظم الذي يريده ويجعله مكان المزية لا يتأتى إلا بالفكر والروية ولقد كان هدف عبد القاهر في كتاب دلائل الإعجاز البرهنة على أن القرآن معجز بالنظم وأن بلاغة الكلام لا ترجع إلى ألفاظه وإنما إلى ما بينها من صلة وارتباط ولذلك أطال الحديث عن نظريته واستعان بالصور البيانية في إثباتها،¹ وقد ألف الإمام الجرجاني كتاباً آخر في البلاغة هو كتاب أسرار البلاغة وبه أتم ما بدأه في دلائل الإعجاز إلا أنه يهتم به بصفة خاصة في بيان قيمته البلاغية وسرها من الوجهة النفسية من حيث مراعاة وقع الكلام في النفس ومن حيث مراعاة أحسن الطرق لإفهام النفس الإنسانية.²

وهدف عبد القاهر في هذا الكتاب يختلف عن هدفه في دلائل الإعجاز فهو لم يؤلفه لغرض ديني أو مسألة تتعلق بالإعجاز وإنما ألفه لغاية بلاغية ووضع الأصول والقوانين وبيان الأقسام وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية.³

وعلى نحو ما وضع عبد القاهر أصول علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز) فإنه أيضاً وضع بكتابه (أسرار البلاغة) علم البيان رغم أن الاستعارة والتشبيه والكناية كانت معروفة عند العلماء السابقين، إلا أن عبد القاهر الجرجاني درس الأسرار والدقائق التي تشتمل عليها الصور البيانية من

¹ عبد القاهر الجرجاني . دلائل الاعجاز ص 5-54. 2- أحمد مطلوب. دراسات بلاغية ونقدية. دراسات بلاغية نقدية. دار الرشيد للنشر .سبسية نشر .ص 250.

² ينظر : نعيم الحمصي.فكرة إعجاز القرآن .ط2.مؤسسة الرسالة.سوريا. 1400هـ-1980م.ص86.

³ ينظر :أحمد مطلوب .عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده. ط1. وكالة المطبوعات للنشر. بيروت. 1393هـ - 1973م .ص38.

استعارة وتمثيل وتشبيه ومجاز ، وحدد أقسامها ، وفروعها ، وأفاض في ذكر أمثلتها وتحليلها تحليلاً نفسياً رائعاً كما أنه درس الكناية درسا مفصلاً وهذه الأبواب التي طرقها من حقيقة ومجاز وتشبيه وتمثيل واستعارة وكناية هي التي جمعت عند المتأخرين باسم علم البيان ، وكان لعبد القاهر فضل تقسيمها وتحديدتها ، وبيان سر الجمال فيها.¹

وقد اشتمل كتابه أسرار البلاغة على بعض ألوان علم البديع كالتجنيس والتطبيق، والسجع، والمزاوجة، والتقسيم ، وحسن التعليل، والتجريد فاقترصر في هذا العلم بوضعه في إطار النظم كما فعل في المزاوجة والتقسيم ، وأما بقية الألوان المذكورة فقد تحدث عنها منفصلة عن النظم.²

المطلب الثالث: التعريف العام بالرسالة ومنهجه فيها وقيمتها العلمية

1- تعريف العام بالرسالة:

تعد الرسالة الشافية المكملة لكتابية (دلائل) (الاسرار) عن تباينت آراء العلماء في أيهما وضع قبلاً :
الدلائل أم الرسالة؟

فيرى محمد بن موسى ان الشيخ الجرجاني كتب الرسالة الشافية قبل (دلائل الاعجاز) لأنه انتهى في هذه الرسالة بأن القرآن معجزة بنظمه فوقف عند هذا الحد دون أن يتحدث عن الضروب و أغراض وترك ذلك ليتناوله في الدلائل.³

بينما يرى الدكتور عمر ملا حويش والدكتور جمال العمري أن الرسالة الشافية كتبت بعد الدلائل وذلك لعدة أمور:

1- التسلسل الفكري والموضوعي للبحث في إعجاز القرآن الكريم.

¹ عبد القاهر حسين .أثر النحاة في البحث البلاغي.ص 445.

ينظر : شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. ط2 . دار المعارف. ص190.

² عبد القاهر حسين .أثر النحاة في البحث البلاغي.ص446.

³ محمود محمد ابو موسى الإعجاز البلاغي ، ط2 ، مكتبة وصية، 1418هـ -1997م . ص 370.

2- أنه في مصنفه «دلائل الإعجاز» أبرز وجوه الإعجاز القرآني فقط. ثم كان عليه أن يؤكد وقوع الإعجاز ذاته وإثباته بالبراهين والأدلة فألف لذلك الرسالة الشافية، كافية بتوضيح ما قصد منها لذلك اشتق اسمها من مضمونها.

3- ما تمتاز به الرسالة من تركيز وتكثيف لبعض المعلومات التي طرقها وتحدث عنها مسبقا في كتابه فهي عمل علمي حتي ليتمكن القول: أن الرسالة الشافية لا تعكس وحدها مفهومه للإعجاز القرآني مباشرة إلا بعد الاطلاع على كتابه، وأن الكتاب لا يمكن الاستغناء به عن الرسالة. فكلاهما عمل علمي يكمل بعضه البعض.¹

وقد نشرت دار المعارف بمصر الرسالة الشافية ضمن مجموعات (ثلاث رسائل في الإعجاز القرآن) وحققتها وعلق عليها محمد خلف الله. ومحمد زغلول سلام. وذلك عن نسخة حسين حلي المصورة بالمعهد المخطوطات الجامعة العربية. وهي ثمان وثلاثين صفحة من القطع المتوسط. بدئت بالبسملة. ثم. قال الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن - رضي الله عنه - الحمد لله رب العالمين . حمد الشاكرين. وصلواته على النبي محمد آله أجمعين² . وهي عبارته عن مقدمة وخمسة فصول وفصلان ملحقات. الأول منهما في صفحة واحدة والثانية صفحتان.

وتحدث في مقدمته عن أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى. وضروبا من العبارة هو لتأديته أقوم. وهو فيه أجلى. وتحدث عن عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن بدلالة الأحوال والمقال. وعرض أثناء ذلك بعض الشبه بنحو عشرة صفحات ونصف.³

وفي الفصل الأول أو الفصل الذي يلي المقدمة ولم يجعل له رقما. عرض لبعض الشبه ومنها أنه كان بمقدور المفلقين والشعراء من العرب ممن سبق عهد نزول القرآن أو جاء بعد معارضة القرآن. وعرض

¹ ينظر : الملا حويش .د عمر . تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية . مطبعة الامة. بغداد. ص 319-322.

² خلف الله محمد و سلام محمد زغلول ، ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني الكريم ، مصر . دار المعارف، ص 107

³ ينظر: المصدر السابق ، ص 107-117

لها بالرد في نحو تسع صفحات¹.

وفي الفصل الثاني وهو الذي يلي الفصل الماضي. عرض لشبهات مفادها أن العجز الذي طهر في الأوائل في معارضة القرآن ليس لأنهم لا يستطيعون مثل نظمه. ولكن لأنهم لا يستطيعونه في مثل معاني القرآن. ثم رد على هذا الشبهه بنحو سبع صفحات². و أما في الفصل الثالث فقد كان في الذي يلزم القائلين بالصرف. حيث عرض فيها لشبهات القائلين بها. وتناولها بالرد المفصل في نحو ثمان صفحات³.

ثم وضع فصل رابعا، قال أنه سيختتم به. وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة موجهة للقائلين بالصرفة، والذين ينفون الإعجاز القرآن الكريم. وقد استغرق صفحة واحدة⁴. ثم اورد شبهة أو اعتراضا في صفحة أخرى روسها بالبسمة. ومفادها هذه الشبهة أن القرآن الكريم ليس معجزة في نظمه للمتأخرين وإنما أعجز السابقين ثم رد عليها⁵.

ثم وضع فصلا خامسا -بنحو صفحتين- وهو آخر ما جاء في الرسالة ومفاده أن علم الفصاحة والبيان يحتاج إلى طبع سليم وقلب حساس وآلة يمكن بها فهم الفصاحة⁶. وقد حدد الشيخ الجرجاني في مقدمة رسالته، سبب تأليفه لها حيث قال: " وهذه جمل من القول في البيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن. واذعائهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائق للقوي البشرية. ومتجاوز للذي يتسع لها ذرع المخلوقين. وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم ويعلم الادب جملة⁷.

¹ ينظر: المصدر نفسه ، ص 117-126.

² ينظر: المصدر نفسه ، ص 126-132.

³ ينظر: المصدر نفسه ، ص 133-140.

⁴ ينظر: المصدر نفسه ، ص 141.

⁵ ينظر: المصدر نفسه ، ص 142.

⁶ ينظر: المصدر نفسه ، ص 143-144.

⁷ ينظر: المصدر السابق، ص 107.

لكن منير سلطان يرى أن هنالك أسباباً أخرى دفعت بالجرجاني إلى وضع رسالته، حيث يقول أن: "والواقع أن هناك أسباب كثيرة دفعا الجرجاني إلى خوض ميدان الإعجاز فأدت هذه الكتابية "الدلائل" و "الأسرار" ومعهما الرسالة الشافية في الإعجاز وهذه الأسباب منها: الذاتي: مثل استعداده الثقافي واتجاهاته الدينية والأدبية والكلامية. ومنها العام: مثل حالة العلماء وحالة كتب البلاغة ثم التكلف والتعقيد وظهورهما كمنهج.¹

وكان بدوي بطانه قد قرر في دراسته لتاريخ الفكرة البلاغية عند العرب أن عصر الشيخ الجرجاني كان يمثل مرحلة النضج والرشد الفكري في تلك الحياة². وعلى كل فكلام الشيخ الجرجاني في مقدمة رسالته لا يتعارض مع ما قرره منير سلطان عن مؤهلات العامة للشيخ الجرجاني التي مكنته من خوض هذه الغمارات.

ويقرر حفني شرف موجزا لما جاء في الرسالة الشافية فيقول: "وجماع القول في هذا الموضوع أن عبد القاهر لا يعدو أن يكون قيد درس في كتابه هذا ثلاثة أشياء لا رابع لها: إثبات التحدي، وعدم المعارضة، وإبطال مذهب الصرفة.³

بينما يرى عبد الكريم الخطيب أن ما تناوله الشيخ الجرجاني في رسالته أعم من ذلك فقال: "في هذه الرسالة يعني "عبد القاهر" عناية خاصة بتقرير الإعجاز في ذاته وإقامة الأدلة القاطعة على وقوعه مستشهدا لذلك بالقرآن الكريم وما حملت من آيات سجلت تحيه للعرب. مرة بعد مرة. ودعوتهم الى معارضتهم بعشرة سور. ثم بسورة واحدة. وذلك بأسلوب قاهر مستعل... فلما لم يقوموا له سجل عليهم عجزهم هذا في آيات تتلى أبد الدهر⁴.

¹ منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، ص 132.

² ينظر: بدوي بطانه، البيان العربي دراسة تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، ط4، مكتبة أنجلو المصرية، ص 213-214.

³ حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، الكتاب الرابع، 1390هـ - 1970م، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ص 96.

⁴ عبد الكريم الخطيب، الاعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، الكتاب الاول، ط2، بيروت، دار المعرفة، ص 226-289.

لكن يبدو -والله أعلم- أن كلام د شرف كان أقرب إلى واقع الرسالة ومضامينها. ومن هنا يمكن القول أن الرسالة الشافية تنقسم إلى قسمين رئيسيين وبعض التوابع فأما القسمان فهما:

القسم الأول: إثبات عجز القرآن الكريم للعرب حين تحدوا إلى معارضته ، واستغرق زهاء ست وعشرين صفحة من الرسالة.

القسم الثاني: نقض مذهب الصرفة جملة وتفصيلا واستغرق زهاء ثمان صفحات.

2- منهجه فيها:

عن رسالة الجرجاني -رحمه الله- على صغر حجمها، قد حوت فوائد كثيرة ومقاصد عظيمة أراد بها أن ينافح عن أصول الدين وقد بين فيها عجز العرب عن معارضة القرآن . ثم عرض للشبهات المتعلقة بمكمن إجازة، وذلك بدقة متناهية، ثم نقضها عن أصولها بما أكرمه الله به من صفاء في السريرة، واتقاد في الفريضة وعلو في الهمة ولذا فغن معالم منهج الشيخ في رد الشبه و الإعتراضات هي ذات منهجه العام في الرسالة التي قامت أصلا على هذا الغرض، ومن أهم هذه المعالم:

1- إستعمال أسلوب التقسيم العلمي في البحث، من حيث تقسيم الرسالة إلى المقدمة وفصول وخاتمة، وكذلك تقسيمه الفصول إلى فقرات متسلسلة ومترابطة وهذا من شأنه أن يسهل القراءة على القارئ ويمكن في نفسه الفهم.

وقد وضع في المقدمة تمهيدا بين يدي الموضوع، ثم تحدث عن أقسام رسالته، وكذلك أوجز في الخاتمة ما قرره في رسالته بأسلوب علمي رصين، في أكثر من موضع في رسالته سبب وضعه لها.

2- التمحور حول هدف الرسالة وترك الحشو وما لا طائل تحته من الأمور، فجاءت رسالته قوية مركزة في الموضوع الأساس ليس فيها إطالة مملة أو قصر مخل، بل كان يطنب حيث يحلو الإطناب ويوجز حيث يحلو الإيجاز.

3- الإعتداد على الأصول الأثرية في النقاش والإستدلال فقد كان يستدل بالقرآن على صحة ما يراه، ويستدل بأقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، وبأقوال أهل العلم عامة، ويستدل بالشعر أيضا إذا اقتضى الأمر ذلك.

- 4- التسلسل الصحيح بالعرض، فقد أثبت في القسم الأول من الرسالة عجز العرب، ثم مهد في نهاية القسم الأول للحديث عن الصرفة التي جعلها في ¹ القسم الثاني، ثم اتبع التسلسل والتدرج في عرض الشبهات وهكذا.
- 5- استخدام المحاجة العقلية في رد شبهات المعارضين دون الاكتفاء بالأدلة النصية حتى لا يترك للخصم حجة.
- 6- عرض الشبهات الخصوم بكل أمانه دون أن يخفي ما فيها، بل أنه قد دافع عنها أكثر من أصحابها، وأثنى على ما فيها من وجه صواب، وعرضها أحيانا بأكثر من وجه، مما يدل على نزاهته وحياديته العلمية، فقد قال عند عرضه بعض الشبه: "وهذا الفصل على ما فيه لا يقدر في موضع الحجة"² فهو لا ينكر وجود بعض الحق فيه.
- 7- استعمال أكثر من طريقة في الرد، فأحيانا يستخدم طرقا أدبية، وبعضها عقلية، وهكذا مما يدل على تمكنه من الحجة والاقناع، ومراعتها لتنوع عقول المعارضين³.
- 8- التعليق على الشبهة بشكل عام قبل أن يدخل في مناقشتها، فقد كان يحكم أحيانا بشكل موجز على الشبهة، ويصفها إجمالاً ثم يبدأ بنقضها تفصيلاً، فمن بعض ما قاله عن بعض الشبه: "وأعلم أنهم في هذا كرام قد أضل الهدف، وبأن قد زال عن القاعدة"⁴.
- وقوله: "إنكم الآن كأنكم أردتم أن تحسنوا أمركم وان تغطوا على بعض العوار وأن تتملسوا من الذي تلمزون، وليس لكم في ذلك كبير جدوى...."⁵
- وقال عن شبهة أخرى "وهي نفثة نفثها الشيطان فيهم، وإنما أتوا من سوء تدييرهم لما يسمعون، وتسرعهم إلى الاعتراض..."⁶

¹ رسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز، ص 116

² المصدر السابق، ص 116

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 117--118

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 129

⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص 139

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص 117

9- كثيرا ما ينقض الشبهة من أصلها فلا يسلم للخصم بما قاله ثم يناقشه بعد ذلك في مضمونها إن سلم له فيها¹.

10- يعرض الشبهة أحيانا بأكثر من طريقة حتى يدافع عن أصحابها، ويحفظ حقه في غيبتهم، ثم يردّها بعد ذلك فقد قال بعد أن عرض تحدى الشبه: "واعلم أن هذا السؤال يجيء لهم على وجه آخر وفي صورة أخرى، وأنا أستقصيه حتى إذا وقع الجواب عنه، وقع عن جملته، وكان الحسم في الداء كله، وذلك أن يقولوا..."²

11- يستعمل التشبيهات والأمثلة أحيانا في عرضه للشبهات، أو في رده عليها، من ذلك قوله في أثناء عرض أحد الشبهات على لسان أصحابها: "ولكن لأنه إذا كان في مكان خبيء فعثر عليه إنسان وأخذه لم يبق لغيره مرام في ذلك المكان، وإذا لم يكن في الصدفة إلا جوهرة واحدة فهذا إليها عامد فشقتها عنها استحال أن يستام هو أو غيره إخراج جوهرة أخرى من تلك الصدفة."³

وقال في رده على أحد شبهات: "ولم يكن حالهم في الاكتساب منهم والاستمداد ومن ثمار قرائحهم وتشمم الذي فاح من روائحهم، حال النحل التي تتغذى بأريج الأنوار وطيب الأزهار، وتملاً أجوافها من تلك اللطائف، ثم تمجها أربا وتقذفها مذيا."⁴

12- استعمال الأسئلة الإنكارية بأغراضها المختلفة، من توبيخ أو تكذيب أو تعجيب في أثناء المناقشات والردود.⁵

¹ ينظر: المصدر نفسه ص 117 (129-130)

² ينظر: المصدر نفسه، ص 126

³ ينظر: المصدر السابق، ص 127

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 214

⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص 109-110-130

13- استعمال الفنقات¹ في عرض الشبهات ونقدها، والشواهد على ذلك كثيرة ولا تحصى وتزدحم بها صفحات الرسالة، ويبدو أنه أسلوب علمي قديم اشتهر فيه الباقلائي من قبل والزخشي بعد ذلك.

14- تحليل الأفكار والألفاظ يقول أبو موسى "من أصول منهج عبد القاهر بجانب تحليله للأفكار تحليلاً دقيقاً، تحليله للألفاظ وتحقيق معانيها، والوقوف عند مخارج هذه المعاني، وبيان مايتحمل وما لا يحتمل، وأكثر فكرة مؤسس على هذين الأصلين وهما أمران ينتجان السداد غالباً ، يبعدان العالم عن الغفلة وما ينطوي عليه الرأي من الفساد."²

03- القيمة العلمية للرسالة:

تقاس القيمة العلمية للعمل العلمي بعدة معايير لعل من أهمها: مكانة المؤلف العلمية بين العلماء، وما أحدثه هذا العمل من إثارة علمية بين علماء الشأن من نقد وتأييد وكذلك من خلال مدخلات ومخرجات هذا العمل من خلال قيمة المصادر التي أخذ عنها وكذلك المصادر التي أخذت عنه، أما مكانة الشيخ الجرجاني فقد تقدمت شهادة العلماء المؤرخين وغيرهم بها في المبحث التمهيدي من هذه الدراسة، وأما ما أحدثه هذا العمل من إثارة علمية وفكرية، فليس أدل على ذلك من عدد العلماء والمصنفات التي حاولت شرح مضامين هذه الرسالة والتعليق عليها مما سبق ذكره في دراسات السابقة، وفي طيات هذه الرسالة مما يؤكد مكانه هذه الرسالة وجلالة قدرها عند المصنفين والباحثين، وأما مصادر الشيخ العلمية، فإنه يظهر في طيات هذه الرسالة أنه قد عاد إلى الأعلام الذين سبقوه

¹ الفنقات: هي اللطائف والنكت البيانية التي تطرح في أسلوب المحاوره , فإن قلت قلت.وهي في مجملها أسئلة وأجوبة إفتراضية.

² محمد محمد أبو موسى ، الإعجاز البلاغي ، ص 329.

من أمثال الجاحظ¹ والخطابي² والرماني³ والباقلاني⁴ والهمداني⁵ وغيرهم.

فالخطابي قد سبق الجرجاني في كونه لم يعبأ بالصرفة وكذا الباقلاني والهمداني، لكن الشيخ الجرجاني تميز عنهم، كما يقول أبو موسى: "وذلك لأنه تفرد بأن وسع الكلام في مناقشة هذه المسألة وقلبها على وجوهها، ونقضها وجها وجها، على طريقته المعروفة واحتفاله بما يتجه إليه فكره، وتشقيق القول فيه وعرض احتمالاته، وبيان ما تنطوي عليه من فساد في كل وجه، وقد يكوم القول مما يسقط بالاعتراض الأول، يوالي الإجهاز عليه، ويلح بالإطاحة به، حتى يسكت نأتمته، وهو في هذا كله يبعث حول المسألة مجالا فكريا نشطا وكأنه يلذ به، وهذه طريقته فيما يعرض من مسائل، ثم هو أشد تمسكا بهذه الطريقة، حين تكون المسألة متصلة بالدين."⁶

وكذلك فإن كلام الشيخ الجرجاني كان أساسا لكل من جاء بعده - لاسيما من المحدثين - في رفضهم للصرفة من أمثال: الرافعي⁷ ودراز⁸، وأبي زهرة⁹ و محمد أبو موسى¹⁰ و فضل حسن عباس¹¹ ، وغيرهم.

وبإختصار شديد يمكن القول : إن هذه الرسالة ذات قيمة علمية عالية المستوى في تقرير عجز العرب عن معارضة القرآن، وفي نقض القول بالصرفة وذلك للأسباب التالية:

1- قوة لغة الرسالة وجودة عباراتها وسبكها وإحكام جملها وورصف ألفاظها مما يجعلها على ضالة حجمها من المصادر الأصلية في بابها.

¹ ينظر: الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، بيروت، دار الجيل ص 27-29.

² ينظر: الخطابي، رسالة البيان في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز

³ ينظر: الرماني، رسالة الكتب في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز

⁴ ينظر: الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 25-26.

⁵ ينظر: الهمداني عبد الجبار المعنى في أبواب التوحيد والعدل ج16، ص 322.

⁶ محمود محمد ابو موسى ن الإعجاز البلاغي، ص 368-369.

⁷ ينظر: الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط1، القاهرة، مؤسسة المختار، ص 118.

⁸ ينظر: دراز د محمد عبد الله، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم، ص 89.

⁹ ينظر: أبو زهرة محمد، القرآن المعجزة الكبرى، القاهرة، دار الفكر العربي، ص 78

¹⁰ ينظر: أبو موسى الإعجاز البلاغي. ص 369 وما بعدها.

¹¹ ينظر: عباس فصل حسن، إعجاز القرآن الكريم، عمان، الأردن، ص 65-66.

- 2- قدرة الشيخ الجرجاني على تحليل الشبه والأفكار تحليلاً دقيقاً للألفاظ والمعاني وبيان ما يحتمل منها وما لا يحتمل (أبو موسى)¹.
- 3- سلامة الاستدلال لما يريد المصنف أن يقرره من خلال العود إلى الأصول النقدية والعقلية، لكل ما يلزم تقريره فهو يستند القرآن والأقوال والشعر، وكذا للمعقول والمعهود من عادات الناس وطبائعهم وذلك نظراً لموسوعية الإمام الجرجاني الثقافية.
- 4- معرفة الشيخ الجرجاني بطبقات الشعراء وأحوالهم وشروط المعارضات - كما أشار في مقدمة رسالته - بما أقوى به استدلاله وحججه فيما يقرره ويذهب إليه.
- 5- استقراء شبه الخصوم ، وذكرها بالحجج والأدلة وعرضها بأكثر من صورة ووجه بما يدل على نزاهة وموضوعية المصنف وحفظه لحق خصومه في حال غيبتهم، فقد بدأ واضحاً أنه قرأ وسمع بما قاله ابن حزم في قضية الصرفة واحتججه لهاء وتضعيفه للقول بإعجاز القرآن النظمي والبلاغي، كما ذكر ابن حزم² وكذلك ما قرره ابن سنان الخفاجي فينبهه فصاحة القرآن وقوله بالصرفة.³
- 6- استعمال الوسائل والتشبيهات المعينة على فهم القارئ.
- 7- التسلسل والدقة والوضوح في العرض والنقد.
- 8- عدم وجود تضاد أو تناقض بين ما قرره في رسالته وما قرره في الدلائل والأسرار حول أن الإعجاز مبني على النظم.
- 9- توليد المسائل وتفريعها بما لا يدع شيئاً من الموضوع إلا وتناوله وعرج عليه.
- 10- استعمال الأسلوب العلمي في الكتابة من خلال وضع المقدمة والفصول المعينة على الفهم والتوطئة لكل موضوع. والترابط بين الفقرات الرسالة، وعرض الفتقالات المساعدة على الفهم. ومما يمكن أن يستدرك على هذه الرسالة وإن كان لا يغض من قيمتها:

¹ ينظر : أبو موسى الإعجاز البلاغي . ص 369.

² ينظر: ابن حزم ابو محمد علي بن أحمد الطاهري الفصل في المال والمحل، ط3 ، بيروت ، دار المعرفة ، ص 16-19.

³ ينظر: مقدمة الخفاجي ابو محمد عبد الله بن محمد سعيد بن سنان ، سر الفصاحة، مطبعة محمد عي صبح، ص 110

وما بعدها.

- 1- تداخل الشبهات بالردود أحيانا وتوارد الشبهات النوعية على الأصلية مما يجعل القارئ - أحيانا - لا يفهم الكلام متى بدأ وأين انتهى وهل هذا القول للمصنف أم قاله على لسان غيره؟ وهكذا مما أوقع بعض العلماء في لبس كما تقدم في المطلب الماضي.
- 2- عدم توثيق الكثير من الأقوال والأشعار والآراء التي تحتاج للتوثيق، وربما كان عذره في ذلك عادة العلماء الذين سبقوه ولحقوه ولم تكن حكرا عليه.
- 3- تكرار بعض الأفكار العبارات في أحيان قليلة، وإما عن انقطاع الكتابة في البعض المرات، وإما عن غفلة أو سهوا أو إذا اعتقد بوجود حاجة للإعادة لكن مع ذلك نلمس هذه الإعادة التي يمكن الاستغناء عنها.
- 4- عدم وضوح الحاجة إلى الفصول الثلاثة التابعة الأخيرة في رسالته، فهي إما أفكار قد قررها في أثناء الرسالة ، ولا تدعو الحاجة إلى إعادتها أو تكرارها، أو شبهات كان يمكن دمجها مع الشبهات السابقة في حينها وذلك أدعى للترتيب أو كلام عام ليس له علاقة واضحة بما تقدم ويبدو أن هذه الفصول الأخيرة هي أفكار تواردت على ذهنه بعد الكتابة فجعلها في فقرات و عناوين مستقلة يختتم بها الموضوع. فقد قال في الفصل الأول منها: "إنه سيختتم بها الموضوع، ثم عاد وأضاف فصلين آخرين، مما يدل على أنه أراد أن¹ يضع كل ما جال في فكره حول هذا الموضوع ومتعلقاته في هذه الرسالة."

¹ رسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز، ص 116-139.

المبحث الثاني:

موضوعات الرسالة الشافية وفقراتها

(دراسة تحليلية)

المبحث الثاني: موضوعات الرسالة الشافية وفقراتها (دراسة تحليلية)

المطلب الأول: إثبات إعجاز القرآن للعرب حين تحدوا إلى معارضة

الفرع الأول: الفصل التمهيدي

1 - بدأ هذا الفصل بقوله: "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذ إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق وكان السمع له اوعى، والنفس إليه أميل"¹

واعتقدنا هنا أن الشيخ الجرجاني -رحمه الله- قد أوجز نظريته في النظم بعبارات قد سبكها ورفضها بشكل متين، وعماد هذه النظرية -كما ظهر في الدلائل- يقوم على اللفظ والمعنى والنظم القائم على توخي معاني النحو، إذ لا بد من ترتيب الكلام في النطق بناء على ترتيب المعاني في النفس، ولعل الشيخ الجرجاني -رحمه الله- قد أفاد هذا الكلام السابق من قول الامام الخطابي في رسالته: "وأعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها الفصول الكلام موضع الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منهن إما تبدل المعني الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهب رونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"².

فقول الشيخ الجرجاني هذا: "وما أخذ منه كان إلى الفهم أقرب وبالقبول أخلق" يشابه قول الخطابي في الصورة المقابلة عند إبدال الكلام عن المعاني المرادة بقوله: "جاء منه إما تبدل المعني الذي يكون معه فساد الكلام"³، وقول الجرجاني: "وكان السمع له اوعى والنفس إليه أميل"، يفسر بقول الخطابي: "ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"⁴.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 107

² المصدر السابق، ص 26

³ المصدر نفسه، ص 29

⁴ المصدر نفسه، ص 29

2- ثم تابع الشيخ الجرجاني كلامه، الذي سيؤكد فيه ما قرره في البداية بأن رسالته هذه هي: "جمل من القول بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلنهم ان الذي سمعوه فانت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم وبعلم الأدب جملة".¹

وكأنه أراد أن يقرر في هذا القسم الأول من الرسالة، أن مناط الإعجاز قائم على النظم الذي مداره يستند إلى تكاملية العلاقة بين اللفظ والمعنى وطبيعة التركيب والتأليف بينهما بما يعد جوهر عملية النظم، وأن ما سيأتي في هذا القسم سيؤكد حقيقة أن القرآن فانت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين، لأن نظمه ليس كنظمهم.

وكلام الشيخ الجرجاني هذا ربما يكون قد أفاده مما قرره الخطابي فيما سبقه إليه حين قال: "وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم لاسيتفاء جميع وجوه المظلوم التي بها يكون إئتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن ياتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم".²

ويلاحظ هذا أن الشيخ الجرجاني وهو يتحدث عن أقسام رسالته لم يعرض للصرفة التي قام عليها الجزء الثاني من رسالته في نقضها ودحض الشبهات القائمة حولها.

3- ثم انتقل الشيخ الجرجاني إلى مقدمة أخرى تمهيدا لما سيعقبها من كلام فقال: "معلوم أن سبيل الكلام ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات بعضها عن بعض، ومنازل يعلو

¹ المصدر السابق ، ص 107

² المصدر السابق ص 24

بعضها بعضا، وأن علم ذلك علم يخص أهله، والقدوة فيه العرب، ومن عداهم تبع لهم وقاصر لهم فيه عنهم".¹

وكلام الجرجاني هذا موافق لما سبق وقرره الشيخ الخطابي والرماني في رسائلهما، فهذا الخطابي وهو يتحدث عن وجه إعجاز القرآن الكريم النابع من ذاته يقول: "إن السبب له والعلّة فيه أن أجناس الكلام متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب من السهل، ومنها الجائر الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه ألبتة"²، وأما الرماني فقد قال: "وأما البلاغة فهي على ثلاثة طبقات، منها ما هو أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها في الوسائط بين الأعلى طبقة والأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون تلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس".³

4- وبما أن العرب هم القدوة والأسوة في البلاغة وقت نزول القرآن فلا ينبغي لأحد -كما يقول الجرجاني- أن يدعي بعد زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يزيد على أولئك الأوائل، ويستدل الجرجاني لذلك بما جاء عن خالد بن صفوان قوله: "كيف نجاريهم، وغنما نحاكيمهم (نقلدهم) أم كيف نسابقهم، وإنما نجري على سبق إلينا من أعراقهم"⁴.

ويستدل الجرجاني -أيضا- بما ورد عن الجاحظ في ادعائه الفضل للعرب وحدهم في هذا الميدان، ومناظرته فرقة الشعوبية، التي كانت تسعى للتقليل من شأن العرب ومن شأن اللغة العربية، وإذا كان العرب هم القدوة فلنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم، حين سمعوا القرآن، والتي تؤكد أنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والاتيان بمثله.⁵

¹ المصدر نفسه ص 107

² المصدر نفسه ، ص 23

³ المصدر نفسه، ص 69

⁴ رسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 118

⁵ المصدر السابق ، ص 108

- دلالة الأحوال:

وقد عرض الشيخ الجرجاني هذه للدلالة في المسائل الآتية :

1- إن المتعارف عليه من عادات الناس التي لا تختلف، وطبائعهم التي لا تتبدل أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلا إلى دفعها، ولا ينتحلون العجز وهم يستطيعون قهرهم والظهور عليهم، لا سيما إذا كان الخصم قريبا وقد عاد الى مكانته، واستدل على ذلك بالاشارة الى مناقضات ومماتات جرير والفرزدق، وغيرهم من الشعراء.¹

2- إذا كان التسليم بالفضيلة لأحد المتبارين على الآخر ليس موجودا بين الشعراء أو الخطباء أو الكتاب ترتب على ذلك سؤال الرئيس هو: كيف يجوز أن يظهر في صميم العرب وفي مثل قريش نوي الأنفس الأدبية والهمم العلية واللائقة والحمية ومن يدعي النبوة ... ثم يتحداهم بالقرآن فرادى ومتجمعين ثم لا يجيبوه ولا يعارضوه مع إمكان ذلك وقد بلغ بهم الغيظ مبلغه فواجهوه بكل قبيح ولفوه بكل أذى ومكروه؟²

3- فدل ذلك على عجزهم، ولاشك أنه قد أفاد هذا مما سبقه من رسالتي الخطابى والرماني، فهذا الخطابى يقول في مقدمة رسالته: "وقد بقى - صلى الله عليه وسلم - يطالبهم به مدة عشرين سنة، مظهرا لهم التكبير، زاريا على اديانهم ، مسفها آراءهم وأحلامهم، حتى نبذوه وناصره الحرب، فهلكت فيه النفوس، وأريققت المهج وقطعت الأرحام، وذهبت الأموال، ولوكان ذلك في وسعهم، ونحن أقدارهم لم يتكفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يركبوا تلك الفواقر المبيرة، ولم يكونوا السهل الدمث من القول الى الحزن الوعر من الفعل".³

وهي ذات الوجه من الإعجاز الذي سماه الرماني : "ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة".⁴

¹ المصدر نفسه ، ص 102

² المصدر نفسه ، ص 109-110

³ المصدر نفسه ، ص 19

⁴ المصدر نفسه ، ص 101

وقد صاغ الشيخ الجرجاني هذا السؤال الإنكاري المتقدم لأكثر من صيغة، فقال: "وهل سمع قط بذى عقل ومسكة استطاع أن يخرس خصما له وقد اشتط في دعواه بكلمة واحدة يجيبه بها، فترك ذلك إلى أمور يسفه فيها وينسب معها إلى ضيق الذرع والعجز؟ ... أم هل يجوز أن يخرج خارج من الناس على قوم لهم رياسة، وله خصم من حيث لم يحتسبه... فكيف يقوم هم أرجح أهل زمانهم عقولا، وأكملهم معرفة، وأجزلهم رأيا، وأنقبهم بصيرة؟"¹.

- دلالة الأقوال:

وقد عرض في هذه الدلالة أربعة أقوال من أقوال المشركين، ثم أورد بعض الشبه عليها وقام بتفنيد هذه الشبه.²

الأول: قول الوليد بن المغيرة لقومه في محمد -صلى الله عليه وسلم- وفي القرآن عندما سمعه.

الثاني: قول عقبة بن ربيعة لقومه -أيضا- "والله أني سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط...."

الثالث: قصة إسلام أبي ذر.

الرابع: قول الوليد بن المغيرة: "والله أن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر".

ثم عرض في أثناء حديثه عن دلالة الأقوال لشبهتين اثنتين قام بتفنيدهما على الحال وهما:

الأولى: لا يصح الاستدلال بهذه الأقول إلا إذا كان من قول المشركين بعضهم لبعض. لا أن يكون من كلام المؤمنين، أو ممن آمن بعد ذلك، لأنه في عرف الجدل لا يصح أن تستدل على خصمك بقول أنت تراه أو تقوله.³

¹ المصدر نفسه، ص 110-111

¹ المصدر السابق، ص 111-117

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للروماني والخطابي، ص 114

الرد: هذا الكلام الذي تفضلتم به صحيح إذا كانت هذه الدعوى أو هذا القول يدفعه الخصم وينكره فإما إن كان أمراً معروفاً لذوي الخبرة ويعرفه الجميع فهو دليل بكل حال ، لأن الدلالة ليست من نفس القول وذات الصفة بل في مصدرهما.

وقد رأينا أن الأحوال منهم قد شهدت بانهم لا يقدرّون عليه في ضروب النظم وأنواع التصريف وذلك لأنه ليس إلا أحد أمرين:

الأول: أن يكونوا قد علموا مزية بنمط القرآن على سائر نظومهم..

الثاني: أو أن يكونوا قد توهموها في نظم القرآن والواقع إنها لسيت فيه لغلط دخل عليهم وهذه الثانية أسخف الأمرين.¹

ثم يعلل الشيخ الجرجاني ذلك بقوله: "وهم من إذا ذاق الكلام عرف قائله من قبل أن يذكر، ويسمع أحدهم البيت قد استقرده الشاعر فأدخله في أثناء شعر له ، فيعرف موضعه وبينه عليه، كما قال الفرزدق لذي الرمة: أهذا شعرك؟ هذا شعر لأكه أشد لحيين منك".²

ومصدر هذا الكلام الأخير الذي ذكره الشيخ الجرجاني -رحمه الله- ما ذكره الخطابي في قصة جرير لما مر بذي الرمة وقد نظم قصيدته له فنحله بعض أبيات الشعر ، فوضعها ذو الرمة في قصيدته، ثم مر به الفرزدق فسأله عما أحدث من الشعر، فأنشده القصيدة فلما وصل الأبيات المنحولة قال له : ليس هذا من بحرك نضيفها أشد لحيين منك.³

الثانية: ومفاد الشبهة الثانية أن العرب تجمع على أن شعراء الجاهلية من أمثال: امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى، أنهم أشعر العرب. فمن الذي يضمن أنهم لو تحدوا إلى معارضة القرآن لقاموا بها واستطاعوها.⁴

الرد: قال الشيخ الجرجاني في مجمل رده على هذه الشبهة: "هذا الفصل -على ما فيه- لا يقدح في موضع الحجة، وتلك إنهم كانوا -كما لا يخفي- يروون أشعار الجاهليين وخطبهم،

³ المصدر نفسه، ص 114-115

⁴ المصدر نفسه، ص 115

⁵ المصدر نفسه، ص 22-23

⁴ المصدر السابق، ص 115-116

ويعرفون مقاديرهم في الفصاحة معرفة من لا تشكل جهات الفضل عليه، فلو كانوا يرون فما يرووا مزية على القرآن ، أو راوه قريبا منه، أو بحيث يجوز أن يعارض بمثله أوقع لهم أن قاسوا أو أزنوا أن هذا الذي تحدوا إلى معارضته، لو تحدى إليه من قبلهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، لكانوا يدعون ذلك ويذكرونه أو ذكروه لذكر عنهم".¹

ثم يتابع " فإذا كان من المعلوم ضرورة إنهم لم يقولوا ذلك ولا أن يقولوه، ولو على سبيل الدفع والتلبيس والشغب بالباطل، بل كانوا بين أمرين: إما أن يخبروا عن أنفسهم بالعجز والقصور حين يخلو بعضهم ببعض ، أو أن يتعلقوا بما لا يتعلق به إلا من أعوزته الحيلة." .
وبذلك يثبت الشيخ الجرجاني -رحمه الله- أن الشعراء الذين ذكروهم في زمان النبي -صلي الله عليه وسلم - وتحدوا إلى معارضته لكان حالهم كحالهم، ثم يقول : "وإذا كان هذا هكذا فقد إنتفى الشك ، وحصل اليقين الذي تسكن معه النفس، ويطمئن عنده القلب، أنه معجز ناقض للعادة، وأنه في معنى قلب العصا حية، وإحياء الموتى في ظهور الحجة به على الخلق كافة".²

وهذا الذي ذكره قد أفاده من أحد وجوه الإعجاز السبعة التي ذكرها الرمانى برسالته ومنها :
"قياسه بكل معجزة فانه يظهر اعجازه من هذه الجهة، إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلا واحدا في الإعجاز إذ قد خرج من العادة وقصر الخلق منه عن المعارضة".³

ثم ختم هذا الفصل التمهيدي بقوله: "والحمد لله رب العالمين على أن هدانا لدينه، وأنار قلوبنا ببرهانه ودليله، وإياه جل وعز نسأل التثبيت على ما هدى له، وإتمام النعمة، بإدامة ما حوله، بفضلته ومنه".⁴

الفرع الثاني: فصل بابا من التلبيس

¹ المصدر نفسه، ص 116

² المصدر نفسه، ص 116

³ المصدر نفسه ، ص 117

⁴ المصدر نفسه ، ص 117

في هذا الفصل تظهر عبقرية الشيخ الجرجاني، وقدراته الهائلة في إيراد الشبه على السنة الخصوم، مما لا يستطيع الخصوم أنفسهم أن يأتوا بمثله ونظير كذلك في منهجه في نقاشها وشرحها والرد عليها، ويعرض في هذا الفصل شبهتين متعلقتين بإعجاز القرآن الكريم للعرب حين تحدوا إلى معارضته.

1- الشبهة الأولى: قد جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهله حتى يسلموا عليه، وحتى لا يطمع أحد في مدانته، وحتى ليقع الإجماع فيه أنه الفرد الذي لا ينازع، مثل إمرئ القيس والشعراء الذين قدموا على من كان في زمانهم.¹

ومفاد هذه الشبهة أن هناك بعض الشعراء والادباء قد سبقوا زمانهم الذي كانوا فيه وبزوا أقرانهم ولم يسم أحد هذا الأمر بأنه إعجاز وقد علق الشيخ الجرجاني على شبهتهم هذه قبل أن يردّها بقوله: "وهي نفثة نفثها الشيطان فيهم، وإنما أتوا من سوء تدبيرهم يسمعون، وتسرعهم إلى إعتراض قبل تمام العلم بالدليل² " وقد سلك الشيخ الجرجاني -رحمه الله- في رده هذه الشبهة طريقين اثنين مما يدل على غزارة علمه، وقوة حجته وبيانه:

فالطريقة الأولى: تقوم على مناقشاهم في أصل الشبهة بعدم التسليم لهم فيها.

والطريقة الثانية: يناقشهم في مضمونها ومؤداها ثم يردّها ردا تفصيلا بكل قوة وجدارة.

الطريقة الأولى في الرد:

يقول "وليت شعري من هذا الذي سلم لهم أنه كان في وقت من الأوقات من بلغ أمره في المزية وفي العلو على أهل زمانه هذا المبلغ، وإنتهى إلى هذا الحد!³ وقد ضرب أمثلة في بعض الشعراء تثبت ما قاله، ومنها:

أولا: قصة علقمة الفحل مع امرئ القيس وزوجته لما تناشدا: أينا أشعر؟ فقال إمرئ القيس:

¹ المصدر السابق ، ص 117

² المصدر نفسه ، ص 117

³ المصدر نفسه ، ص 117

خيلبي مرآ بي على أم جندب

نُقِضَ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ¹

وقال علقمة: ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ

وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ²

وتحاكما إلى المرأة فضلت علقمة، وقد أفادها الجرجاني - كما يبدو - من رسالة الامام

الخطابي الذي ذكرها بتمامها في أثناء حديثه عن المعارضات بين الشعراء.³

ثانيا: ما جرى بين امرئ القيس والحارث اليشكري في تتميم أنصاف بعض الأبيات التي

أولها :- أحرار أريك برقاً هب وهنا

كنار مجوسي تستعر استعار⁴

حتى قال امرئ القيس: لا أمانتك بعد هذا⁵، وقد ذكر هذه الأبيات بتمامها الإمام الخطابي

في رسالته في حديثه عن المعارضات.⁶

ثم استدلل الجرجاني ببعض الأثار، التي تدل أنه لم يزل يدلل على انه لم يزل بين

الناس في كل زمان خلاف في أيهما أشعر؟ ، ولم يستقر الأمر في تقديم قرار يرفع الشك

في مثل ما جرى بين أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي وما جرى من

سؤال ابن عباس للحطيئة عن أشعر الناس من الماضيين والباقيين؟ وما جرى بين ابن

عباس وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- وغير ذلك¹.

¹ امرؤ القيس. ديوان امرئ القيس، جمع: د. أنور أبو سويلم، وشرح محمد الخضري، دار عمارص 39

² علقمة الفحل. ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب، ط 1، دار الكتاب العربي، ص 6

³ ينظر: الرسالة الشافية ، ص 118

⁴ ينظر: رسالة الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 54-56

⁵ ينظر: الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 118-120

⁶ المصدر نفسه، ص 121

كل ذلك كي يقرر أن الأمر ليس محل اتفاق كما قرر أصحابه وأن النظرات تتباين في الحكم على الشعراء، ثم أكد ذلك بقوله: "ويزيد الأمر بيانا أنا رأيناهم حين طبقوا الشعراء (جعلوهم طبقات) جعلوا امرؤ القيس و زهيراً والنابعة والأعشى في طبقة، فاعلموا بذلك أنهم أكفاء ونظراء، وأن فضلا إن كان لواحد ، منهم فليس بالذي يبئس الباقيين من معاناته، ومن أن يستطعوا التعلق به والجري في ميدانه ... وإذا كان هذا صورة الأمر كان من العمى التعلق به، ومن الخسار الوقوع في الشبه بسببه"².

الطريقة الثانية في الرد:

مفاد هذه الطريقة أن التقديم بين الشعراء يكون إما لمعنى غريب لم يسبق إليه الشاعر فيستخرجه، أو استعارة بعيدة يظن لها، أو لطريقة في نظم يخترعها ومن المعلوم أن المعول عليه في دليل الإعجاز هو النظم وليس المقصود أن يأتي القرآن بنظم لم يوجد من قبل بل في تلك مضموما إلى أن يبين ذلك النظم من سائر ما عرف ويعرف من ضروب النظم وما يعرف أهل العصر من أنفسهم أنهم يستطيعونه البيئونة التي لا يعرض معها شك لواحد منهم أنه لا يستطيع حتى يشعر بالعجز عنه وبناء على ذلك.

أولا: فهل بلغهم أن امرؤ القيس قد سبق إلى نظم بأن فيه كل نظم عرف لمن قبله؛ بينونة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يدفعها؟ فإن قالوا نعم قد سبق إلى ذلك؛ فسيترتب عليه أنهم ورتوا أنفسهم في جهالة عظمى! وهي أنه سيفضي بهم إلى أن يدعو على من كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم- من الشعراء والبلغاء قاطبة الجهل بمقادير البلاغة، والنقصان في علمها، وأنهم قد زادوا عليهم، واستدركوا على امرئ القيس مزية لم يعرفها من سبقهم من البلغاء، إذ كيف يعرف الشعراء والبلغاء نظما لامرئ القيس مساو في الشرف لنظم القرآن ثم لا يذكرونه، ولا يحتجون به على النبي صلى الله عليه وسلم-

ثانيا: من الذي يسلم أن امرؤ القيس زاد في البلاغة وشرف النظم على نظم من كان قبله؛ كما زاد نظم القرآن شرفا على نظم من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم-

فهل علموا لأمرئ القيس هذه المزية من شعره قياسا لشعر من قبله؟ أم لخبر أتاهم فليرونا مكانه، بل إن الأقوال التي تقدمت تفند هذا الرأي وترده.¹

ثم يعلل سبب ذكره لهذه الشبهات: ليس لأن لها موقعا في قلب ذي لب؛ ولكن من باب الاحتياط -أولا-؛

ولأنها تتعلق بأصل الدين -ثانيا- فقال: "وإذا كانت الشبهة في أصل الدين، كانت كالداء الذي يخشى منه على الروح، ويخاف منه على النفس فلا يستقلّ قلبه، ولا يتهاون باليسير منه، ولا يتوهم مكان حركة له، إلا استقصى النظر فيه، وأعيد الكي على نواحيه، وكالحيوان ذي السم يعاد الحجر على رأسه، ما دام يرى به حس وإن قل"²

الشبهة الثانية: ومفاد هذه الشبهة أن القرآن الكريم ربما أعجز البلغاء الأوائل، ولكنه ليس معجزا للمتأخرين من البلغاء كالجاحظ وغيره.³

الرد: قبل أن يشرع الشيخ الجرجاني في الرد على هذه الشبهة قال عن أصحاب هذه الشبهة: "كانوا في ذلك أجهل، وكان النقض عليهم أسهل"⁴

والذي يبدو لنا -والله تعالى أعلم- أن الشيخ الجرجاني قد أفاد هذه الشبهة من الرماني الذي اختتم بها رسالته حيث قال: "إن قال قائل: فلم اعتمدتم على الاحتجاج بعجز العرب دون المولدين، وهو عندكم معجز للجميع، مع أنه يوجد للمولدين من الكلام البليغ شيء كثير؟ قيل: لأن العرب كانت تقيم الأوزان والإعراب بالطباع، وليس في المولدين من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان، والعرب على البلاغة أقدر لما بينا من فطنتهم لما لا يفتن له المولدون من إقامة الإعراب بالطباع، فإذا عجزوا عن ذلك فالمولدون عنه أعجز"⁵

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 118-120

² الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 123

³ ينظر المصدر السابق، ص 123

⁴ ينظر المصدر السابق، ص 123

⁵ رسالة الرماني ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 104. وانظر ما قاله الباقلاني (403هـ)، القاضي أبو بكر محمد بن

الطيب. (1996م). إعجاز القرآن، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 160

وقد حشد الشيخ عبد القاهر جهده وعلومه كلها في دحض هذه الشبهة فاستخدم الأثر والشعر والإقناع في ذلك، ويمكن إيجاز رده عليها بالنقاط التالية:

أولاً: إن الشرط في نقض العادة أن يعم الأزمان كلها، وأن يظهر على مدعي النبوة ما لم يستطع مملوك قط، فالمعجز ما علم أنه فوق قوى البشر وقدرهم، إن كان من جنس ما يقع التفاضل فيه من جهة القدر، أو فوق علمهم إن كان من قبيل ما يتفاضل الناس فيه بالعلم والفهم.¹

ثانياً: لقد استفاد الجاحظ وأمثاله من العرب السابقين الذين فجرُوا ينابيع القول؛ فاستقوا وامتثلوا لهم مثلاً في البلاغة فاحتدوا، فمن أعظم الجهل وأشد الغباوة، أن يجعل تقدم أحدهم لأهل زمانه من باب نقض العادة وأن يعدّ معد المعجز.

ويستدل على رأيه هنا بالشعر الذي جرى بين ابن ميادة، الرماح بن أبرد وعقال، حيث رد عقال على تبجح ابن ميادة وافتخاره بشعره وشعر بعض القبائل، فرد عليه عقال بأن الفضل للسابقين الذين علموا ما بعدهم وليس لمن بعدهم عليهم فضل.² ثالثاً: ثم أحال في رده على الأقوال التي ذكرها في رسالته عند حديثه عن (دلالة الأقوال) مما يشهد بفضل الأوائل على الأواخر، من مثل شهادة خالد بن صفوان وما قاله الجاحظ.³ وقد أورد الشيخ الجرجاني هنا شبهة صغيرة حيث قال: "إن خيل إلى قوم من جهال الملاحدة أنه كان في المتأخرين من البلغاء كالجاحظ وأشباه الجاحظ من استطاع معارضة القرآن فترك خوفاً أو أنهم فعلوا ذلك ثم أخفوه"⁴ ثم بين في رده عليهم أنهم لن يقولوا ذلك حتى يزعموا أنهم كانوا أبلغ من فصحاء قريش وبلغائهم، وأنهم أشعر من امرئ القيس ومن شعراء

¹ ينظر الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 123

² المصدر نفسه، ص 125

³ المصدر السابق، ص 125

⁴ المصدر نفسه، ص 125

الجاهلية، إلا أنهم قد جاملوا الناس وصانعوهم وتنازلوا عن ريادتهم وبلاغتهم وأعطوها للعرب¹.

ورده هنا عليهم قد ذكره في طريقته الثانية في رده على الشبهة المتعلقة بقوله: "واعلم أن هاهنا بابا من التلبيس" ...²، ثم ختم هذه الشبهة وهذا الفصل بتعليق قوي فقال: "ومن هذا الذي يشك في بطلان دعوى من بلغ بالمصلي -الحصان الذي يأتي بعد الفرس السابق- غاية قد انقطع السابق -الحصان الأول في السابق- عنها، وزعم في الناقص الحذق -المهارة- أنه استقل بشيء عي به المشهود له بال حذق والتقدم، هذا ما لا يدور في خلد، ولا تتعد له صورة في وهم، فاعرف ذلك"³

وهو يعني بذلك أن دعوى من يحصل على الترتيب الثاني في سباق أو منافسة أنه الأولى والأفضل؛ فهي دعوى مرفوضة لا يقبلها عقل.

الفرع الثالث: فصل في جزء آخر من السؤال:-

وقد عرض فيه شبهة أخرى تتعلق بإعجاز القرآن للعرب، ولعلها من أقوى الشبه وأعوصها فيما يبدو، وذلك أنه حشد فيها كل طاقاته ومختلف علومه، ويبدو أنه قد جعلها آخر الشبه التي عرض لها في القسم الأول من رسالته لتعلقها بالصرفة التي تحدث عنها في الفصل اللاحق، وذلك أن الشيخ الجرجاني يرى أن القول بالصرفة بمعنى: صرف الهمم عن المعارضة للقرآن مطلقا باللفظ والمعنى والنظم؛ أمر خطير وسخيف ويترتب عليه أضرار كثيرة سيشرحها المصنف بعد ذلك، ولكن الأقرب للتصور أن يكون القائلون بالصرفة قالوها على توهم أن الله صرف همم الناس عن معارضة معاني القرآن فقط وليس عن لفظه ونظمه، أيضا، من هنا تأتي هذه الشبهة في هذا الموضع ممهدة لما سيأتي بعد ذلك. وسيكتمل الرد عليها تماما في الفصل المتعلق بالصرفة، وقد سلك فنون شتى في رد هذه

¹ المصدر نفسه ، ص125

² المصدر نفسه ، ص117-122

³ المصدر نفسه ، ص125-126

الشبهة أصلا ومضمونا، وأدخل شبهات فرعية في معرض الرد، ثم دحضها بقوة مما أعطى كلامه شيئا من الصعوبة والتعقيد.

مفاد الشبهة: عرض الشيخ الجرجاني -رحمه الله- هذه الشبهة بوجهين أو صورتين، مما يدل على إنصافه لخصومه وحرصه على إيراد حججهم بأقوى صورة وأقنع وجه. **الصورة الأولى للشبهة:** إنا قد علمنا من عادات الناس وطبائعهم أن الواحد منهم تواتيه العبارة، ويطيعه اللفظ في صنف من المعاني، يمتنع عليه مثل تلك العبارة وذاك اللفظ في صنف آخر؛ فقد يكون الرجل في المديح أشعر منه في المراثي، وفي الغزل واللهو والصيد أنفذ منه في الحكم والآداب... وهذا أمر معروف، وإذا كان كذلك فلعل العجز الذي ظهر فيهم عن معارضة القرآن لم يكن لأنهم لا يستطيعون نظمه؛ ولكن لأنهم لا يستطيعون هذا النظم في مثل معاني القرآن.¹

الصورة الثانية للشبهة: لا يصح المطالبة إلا بما يتصور وجوده، وما يدخل في حيز الممكن، ومن المعروف من حال المعاني أن الشاعر قد يسبق في كثير منها إلى عبارة يعلم ضرورة أنها لا تجيء في ذلك المعنى إلا ما هو دونها ومنحط عنها، فيحكم له بأنه قد غلب على هذا المعنى واستبد به.²

واستدل على ذلك بالشعر، فقد قضى الجاحظ لبشار في قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه³

¹ الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 125

² المصدر نفسه، ص 139

³ بشار بن برد. (1976م.) ديوان بشار، جمع وشرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ج 1، ص 33

وكذلك فقد غلب عنتره غيره في قوله:

وخلا الذباب بها فليس ببارح

غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه

قدح المكب على الزناد الأجذم¹

ولو عرض شاعر آخر لمثل هذين المعنيين لافتضح، كما لو كان في مكان ما شيء مخبأ فعثر عليه إنسان وأخذه لم يبق لغيره مرام في ذلك المكان، وذكر بعض الأشعار التي فاق أصحابها غيرهم فيها، ثم دلل على ذلك أيضا بالمنثور فهناك كلام لا يستطيع أحد مثل معانيه مثل قول علي بن أبي طالب: "قيمة كل امرئ ما يحسنه" وقول ابنه الحسن: "ما أريت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت"، وما قاله سيبويه في مقدمة كتابه (الكتاب)، وما قاله بعض الأدباء والبلغاء في كل زمان مما سبقوا فيه غيرهم.² ثم قرر قائلاً: "وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع أن يكون سبيل لفظ القرآن ونظمه هذا السبيل، وأن يكون عجزهم عن أن يأتوا بمثله في طريق العجز عما ذكرنا ومثلنا"³، يعني أنهم عجزوا أن يأتوا بنفس معاني القرآن.

الرد:- قبل أن يشرع الشيخ الجرجاني في رد شبهتهم جملة وتفصيلاً قال عن أصحاب هذه الشبهة: "واعلم أنهم في هذا كرام قد أضل الهدف، وبان قد زال عن القاعدة"⁴:
ثم بدأ بمناقشة أصل شبهتهم، ثم في مضامينها، وقد أوجز رده بما يؤكد ما ذهب إليه من خلال النقاط التالية:-

1. لم يكن التحدي -كما فهموه- أن يأتوا بمعاني القرآن أنفسها وبأعيانها بلفظ يشبه لفظه ونظم يوازي نظمها، بل كان التحدي بأن يجيئوا في أي معنى شأوا من المعاني بنظم يبلغ

¹ عنتره، ديوان عنتره، تصحيح إبراهيم الزين، بيروت، دار النجاح ودار الفكر، بدون طبعة وتاريخ، ص 206

² المصدر نفسه، ص 125

³ المصدر السابق، ص 128

⁴ المصدر نفسه، ص 129

نظم القرآن في الشرف أو يقرب منه. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: 13]، أي مثله في النظم، وليكن المعنى مفترى لما قلتم، فليس إلى المعنى دعيتم ولكن إلى النظم¹.

ولو كان السبق للخليل وسيبويه في معاني النحو إلى ما سبقا إليه من اللفظ والنظم لم يسبق الجاحظ في معانيه التي وضع كتبه لها، فأما وليس من نظم يقال إنه لم يسبق إليه في معنى إلا ويوجد أمثاله أو خير منه في معانٍ آخر فمن أشد المحال وأبينه الاعتراض به².

2. ثم بدأ بمناقشة هذه الجملة تفصيلاً: وذلك على عادته في التسليم لصاحب الشبهة أحياناً بشبهته ثم ينقضها من الداخل فقال: "لو سلمنا لهم أن التحدي كان إلى أن يعبر عن أنفس معاني القرآن بما يشبه لفظه ونظمه. فإننا لا نعدم معهم جدالاً: أنتم حرفتم كلام الناس عن موضعه، فإن الناس إذا قدموا شاعراً في فن من الفنون فإنما يفعلون ذلك لأنه قد خرج في معاني ذلك الفن ما لم يخرج غيره، ولو كان الناس يتفاضلون في اللفظ والنظم فقط لما قالوا: فلان أنسب أو أمدح أو أهجى فهذا لا يصح في وصف اللفظ والنظم وإنما في وصف المعنى"³.

وهو بهذا الرد يحكم على أصحاب الشبهة بالتناقض؛ فإنهم حين يقولون: إنا رأينا الرجل يكون في نوع أشعر، وعلى حوك اللفظ والنظم أقدر منه في غيره؛ فإنهم يناقضون أنفسهم؛ لأن قولهم: أشعر وأمدح وأنسب محال في صفة اللفظ والنظم؛ ولكنه يكون في المفاضلة في المعاني، وأنتم حين تقولون: وعلى حوك اللفظ والنظم أقدر منه في غيره، جعلتم المفاضلة في الألفاظ و المنظوم وهذا تناقض منك⁴.

¹ المصدر نفسه، ص 141

² المصدر نفسه، ص 125

³ المصدر نفسه، ص 142-143

⁴ المصدر نفسه، ص 143-144

ثم عرض لردهم -المفترض في ذهنه- على هذه النقطة وهي قولهم: إن المعاني لن تتسع حتى تتسع الألفاظ، ولن تقع مواقعها المؤثرة حتى يحسن النظم، ثم من ينكر أن لفظ الشاعر ونظمه إذا تعاطى المدح أحسن وأفضل منهما إذا هو هجا أو نسب¹.
ثم قال في رده عليهم: إنا ندع النزاع في هذا ونسلمه لكم. وهو بهذا يقول لهم: لا مشاحة في الاصطلاح فالارتباط قوي بين الألفاظ والنظوم والمعاني، وهذا يدل على موضوعية مطلقة في تناول الشبه؛ لكنه هنا وجه لهم سؤالاً من شأنه أن يعيد الموضوع إلى أصله ويحسم الخلاف فقال: أخبرونا عن معاني القرآن: أهي صنف واحد أم أصناف؟ فإن قالوا صنف واحد فقد تجاهلوا، ففيه معاني كثيرة، وإن قالوا أصناف كثيرة -كما لا بد منه- قيل لهم:

كان ينبغي لشعراء العرب وبلغائهم أن يعتمد كل منهم إلى الصنف الذي تنفذ قريحته فيه فيعارضه وأن يجعلوا الأمر في ذلك قسمة بينهم وفي هذا كفاية لمن عقل².
ثم عاد وناقشهم فيما قرروه في الصورة الثانية للشبهة: إنه قد يسبق الشاعر في المعنى إلى ضرب من اللفظ والنظم، يعلم أنه لا يجيء في ذلك المعنى أبداً إلا ما هو دونها ومنحط عنه، حتى يقضى له بأنه قد غلب عليه واستبد به، فقال في رده على هذه العبارة: "قد سلمنا أن الأمر كما قلتم وعلمتم، أفعلتم شاعراً أو غير شاعر عمد إلى ما لا يحصى كثرة من المعاني فتأتى له في جميعها لفظ أو نظم أعيا الناس أن يستطيعوا مثله، أو يجدوه لمن تقدمهم، أم ذلك شيء يتفق للشاعر من كل مائة بيت يقولها في بيت؟ ولعل غير الشاعر على قياس ذلك، وإذا كان لا بد من الاعتراف بالثاني من الأمرين؛ وهو أن لا يكون إلا نادراً وفي القليل، فقد ثبت إعجاز القرآن بنفس ما راموا به دفعه، من حيث كان النظم الذي لا يقدر على مثله، قد جاء منه فيما لا يحصى كثرة من المعاني"³

¹ المصدر السابق، ص 144

² المصدر نفسه، ص 130-131

³ المصدر نفسه، ص 131

إن العرب كانت تعرف المعارضة وشروطها، فلو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد عدل بهم في تحديه لهم إلى ما لا يطالب بمثله، لكان ينبغي أن يقولوا: إنك قد ظلمتنا وشرطت في معارضة الذي جئت به ما لا يشترط، أو ما ليس بواجب أن يشترط، وهو أن يكون النظم الذي معارض به في أنفس معاني هذا الذي تحديت إلى معارضته، فدع عنا هذا الشرط ثم اطلب فإننا نريك حينئذ مما قاله الأولون و قلناه ما يوازي نظم ما جئت به في الشرف والفضيلة.¹

ولعله فيما قاله قد تأثر بما قرره الخطابي في شأن المعارضات في رسالته المشهورة² ثم أنهى -رحمه الله- هذا الفصل بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله.

المطلب الثاني: مناقشة قضية الصرفة وقد جعلها في فصل خاص

الفرع الأول: فصل في الذي يلزم القائلين بالصرفة

يقرر في البداية أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة، أن يكون الذي ابتداءً القول بها ابتداءً على توهم أن التحدي كان إلى أن يعبر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، وهذا الذي ناقشه الشيخ الجرجاني في الشبهة الماضية ورد عليه، وسيعود لإكمال نقضه في هذا الفصل، كما يقول الشيخ الجرجاني:

أولاً: يترتب عليه أمور شنيعة يبعد أن يرتكبها العاقل ومنها:

أ . يترتب على القول بالصرفة أن تكون بلاغة العرب وأشعارهم قد تراجعت في جودة النظم وشرف اللفظ بعد نزول الوحي عما كانت عليه قبل ذلك. ومن هذا أن تتقاصر شاعرية شعراء النبي - صلى الله عليه وسلم - الذين امتدحوه وردوا بها على المشركين عما كانت عليه في الجاهلية.³

¹ المصدر نفسه ، ص131

² ينظر: رسالة الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص60-53

³ المصدر السابق ص133

وهنا يعرض لشبهة فرعية مفادها: أن هذا النقصان في فصاحتهم قد حدث دون أن يشعروا به. وقد رد هذه الشبهة بقوة بعبارات بليغة رصينة جزلة يصعب اختصارها ولكن موجزها يقوم على أنه: إذا كان النقص في فصاحتهم قد حصل بعد الوحي ولم يحسوا به، فهذا يعني أنهم يشعرون أن فصاحتهم في أوجها وقوتها والقرآن إذن ليس له ميزة على كلامهم، فلماذا لا يتحدوه وقد تحداهم فإذا حاولوا أن يتحدوه فمنعوا سيقولون عندئذ منعنا وكان بمقدورنا، وهم لم يقولوا ذلك طبعاً لأنهم لم يحاولوا، فمن المحال إذن أن يكون هذا النقص -كما يقولون- قد حصل ولم يحسوا به؛ لأن الإنسان يحس به عند المحاولة، ولكن المعقول أن يكونوا قد حاولوا معارضته؛ لأنهم يشعرون بقوتهم باقية لم تفتقر وبأنهم يستطيعونه؛ وكان من المفترض أن يكون قولهم موازياً للقرآن؛ لكن هذا لم يكن، فبطلت هذه الشبهة إذن وبطل تعلقهم بها.¹

ب. يقتضي القول بالصرفة -بناء على كلامهم- أن تكون بلاغة النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تراجعت بعد الوحي. فكيف يتلو عليهم قول الله تعالى: { قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً } [الإسراء: 88] وهو يستطيع أن يأتي بمثل هذا القرآن، إلا إذا وقعوا في جهالة أخرى وزعموا أن بلاغته -صلى الله عليه وسلم- قد كانت أصلاً دونهم في الفصاحة، مع أن الأخبار قد أثبتت أنه كان أفصح العرب.²

ج. يترتب على القول بالصرفة أن يكون العرب قد شعروا بهذا النقص الذي اعتراهم، و شكوا ذلك إلى أنفسهم وإلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقالوا له قد سحرتنا واحتلت علينا؛ لكن ذلك لم يكن فدل هذا على فساد رأيهم.³

ثانياً: آية التحدي في قوله تعالى: { قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً } [الإسراء: 88]: ردت هذا القول وتدل

¹ المصدر نفسه ص 133-134

² المصدر نفسه ص 135-143

³ المصدر نفسه ص 135

على فساد؛ لأنها لا تقال في حق إنسان قد كان يستطيع فعل ذلك الشيء ويكثر منه ثم يقال له: إني قد جئتكم بما لا تقدرُونَ عليه، ولو احتشدتم له ودعوتم الإنس والجن، وإنما يقال لهم: إني أعطيت أن أحول بينكم وبين كلام كنتم تستطيعونه وأمنعكم إياه، وأن أقحمكم عن القول البليغ وأعدمكم اللفظ الشريف.¹

ولا شك أنه قد أفاد هذا مما سبقه به الخطابي في رده على الصرفة حيث قال بعد أن عرض وجهة نظر أصحابها: "وهذا أيضا وجه قريب، إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه [الإسراء: 88] فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة. فدل على أن المراد غيرها والله أعلم² "فقد استخدم كلمة الاحتشاد التي استخدمها الخطابي وفي ذات الطريقة التي عرض بها الآية، والله أعلم.

وبعد أن أنهى هذا الرد عليهم بالآية قال: "وظهر به وسائر ما تقدم من القول بالصرفة -ولا سيما على هذا الوجه- قول في غاية البعد والتهافت، وأنه من جنس ما لا يعذر العاقل في اعتقاده ولم أقل -ولا سيما على هذا الوجه- ونحن نعني أن القول بها على الوجه الأول مساعا في الصحة، ولكننا أردنا أن فساده كان أظهر والشناعة عليه أكثر، والا فما هما أن أردت البطلان إلا سواء"³.

ثم شرع في الرد على الوجه الأول منهما: وهو توهم أن يكون التحدي أن يعبروا عن أنفس معاني القرآن؛ ولكن بلفظ يوازي لفظه ونظم يقارب نظمه، وهو متمم للشبهة التي عرض لها في الفصل الأخير من القسم الأول من الرسالة، والتي كانت تمهيدا -كما أشرت في موضعه- للحديث عن الصرفة، وحديثه هنا يشبه حديثه هناك إلا أنه أضاف عليه وجوه فساد به بالتفصيل.⁴ فقال: "فإن قلت فكيف الكلام عليهم إذا ذهبوا في الصرفة إلى الوجه

¹ المصدر السابق ص 136

² رسالة الخطابي ص 21

³ رسالة الشافية ص 136

⁴ المصدر نفسه ص 129

الآخر، فزعموا أن التحدي كان أن يأتوا في أنفس معاني القرآن بمثل نظمه ولفظه وما الذي دل على فساده؟" ¹

ثم شرع في وجوه فساده وهي - :

1. آية سورة هود {قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ} [هود :، 13] وقد أشار أبو موسى إلى أن الصحيح هو عدم وجود (لا) حتى لا يتلاطم الكلام،² وبذا يستقيم المعنى: فأتوا بعشر سور تفترونها أنتم، وإذا كان المعنى على ذلك، فلنا أن ننظر في الإفتراء الذي وصف به الكلام، إلى المعنى يرجع أم إلى اللفظ والنظم، وقد عرفنا أنه لا يرجع إلا إلى المعنى، وإذا لم يرجع إلا إلى المعنى كان المراد: إن كنتم تزعمون أنني وضعت القرآن وافتريته، وجئت به من عند نفسي، ثم زعمت أنه وحي من الله، فضعوا أنتم أيضا عشر سور وافتروا معانيها كما زعمتم أنني افتريت معاني القرآن، فإذا كان المراد كذلك كان تقديرهم أن التحدي كان أن يعمدوا إلى أنفس معاني القرآن فيعبروا عنها بلفظ ونظم يشبه نظمه ولفظه خروجاً عن نص التنزيل وتحريفاً له. وذلك أن حق اللفظ إذا كان المعنى ما قالوه أن يقال: إن زعمتم أنني افتريته فأتوا أنتم في معاني هذا المفترى بمثل ما ترون من اللفظ والنظم" ¹

ثم دلل الشيخ الجرجاني على كلامه بمثال يؤكد ما يريد... فلو قال رجل شعرا فأحسن في لفظه ونظمه، فلم يجد خصمه ما يعيبه به في ذلك اللفظ والمعنى فقال له: إني رأيتك سرقت معاني شعرك وانتحلتها وأخذتها من هذا وذاك، فالمعقول أن يرد عليه بقوله: قل أنت شعرا في معاني أخر تسرقها كما سرقت أنا: أو قل شعرا في مثل معاني المسروقة بمثل لفظي ونظمي، وليس معقولا أن يقول له: اعمد إلى معاني فقل فيها شعرا مثل شعري.²

¹ المصدر نفسه ص 136

² محمد بن محمد أبو موسى الإعجاز البلاغي ص 372

1 الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص. 137.

2 الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص. 137.

2. رد الشيخ الجرجاني أيضا على هذه الفنقلة أو الشبهة بما رد به قبل قليل في استشهاده بآية التحدي على بطلان القول بالصرفة.³ فقال: "ومنها ما تقدم من أنه لا يقال في الشيء قد كان أكثر مثله من الإنسان ثم منع منه: ائت بمثله واجهد جهدك واستعن عليك فإنك لا تستطيعه ولو أعانك الجن والإنس، وإنما يقال ذلك في البديع المبتدأ أو الذي لم يسبق إليه ولم يوجد مثله قط. وهذا المعنى وإن كان يلزمهم في الوجهين -الصرفة المحضة أو توهم أن التحدي كان بالمعاني- فإنه لهم في هذا الوجه الذي نحن فيه ألزم"⁴، ويقصد توهم أن يكون التحدي بالمعاني دون الألفاظ والنظوم.

3. ثم استدل على بطلان هذا الرأي بما تقدم من الأخبار التي جاءت عن العرب في تعظيم شأن القرآن وفي وصفه بما وصفوه به.⁵ وعقب قائلا: "وذاك محالا أن يعظموه، وأن يبهتوا عند سماعه ويستكينوا له، وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون ما يوازيه، ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم لأنهم لا يستطيعون مثله، ولكن وجدوا في أنفسهم شبه الآفة والعارض يعرض للإنسان فيمنعه بعض ما كان سهلا عليه، بل الواجب في مثل هذه الحال أن يقولوا: إن كنا لا يتهيا لنا أن نقول في معاني ما جئت به ما يشبهه إنا لنأتيك في غيره من المعاني ما شئت، وكيف شئت بما لا يقصر عنه ولا يكون دونه"⁶

ثم أوجز مقالاتهم في الصرفة بقوله: "وجملة الأمر أن علم النبوة عندهم والبرهان إنما كان في الصرف والمنع عن الإتيان بمثل نظم القرآن لا في نفس النظم، وإذا كان كذلك فينبغي إذا تعجب المتعجب وأكبر المكبر أن يقصد بتعجبه واكباره إلى المنع الذي فيه الآية والبرهان لا إلى الممنوع منه وهذا واضح لا يشك"،¹ وهو بهذا يقرر أن القول بالصرفة يثبت إعجازا ولكن ليس لذات القرآن ومضمونه بل للمنوع من محاكاته.

3 المصدر نفسه، ص 136

4 المصدر نفسه، ص 137-138

5 ينظر المصدر نفسه ص 111-114

6 المصدر نفسه ص 137

¹ المصدر السابق ص 138

ثم عرض لشبهة أخرى يظهر فيها وكأن أصحاب القول بالصرفة قد راجعوا أنفسهم واستدركوا بعض خطئهم، فأرادوا أن يحسنوا من صورة المسألة، فقد يستحسن الشاعر شعر غيره وبكبره ويرى فيه مزية على ما يقوله هو؛ ولكنه لا يبأس من أن يقدر على مثله إذا هو جهد نفسه، فلماذا لا يكون لفظ القرآن ونظمه على هذا المنوال؟، فقد سمع القوم ما أبهرهم، ولكنهم حيل بينهم وبين ذلك الاجتهاد، فالشاعر قد يعتاص القول عليه والخطيب المصقع يرتج عليه حتى لا يجد مقالا.¹

وقد علق على مقولتهم هذه -كما من عادته أن يفعل- بقوله: "إنكم الآن كأنكم أردتم أن تحسنوا أمركم، وأن تغطوا على بعض العوار، وأن تتلمسوا من الذي تلمزون، وليس لكم في ذلك كبير جدوى إذا حقق الأمر وإنما هو خداع وضرب من التزويق".²

ويقصد الشيخ الجرجاني بذلك أنهم أرادوا أن يجمعوا في قولهم هذا بين القول بالصرفة والقول بإعجازه، فالقوم يقرون ببلاغة القرآن وفصاحة نظمه ولكنهم لو لم ينسوا أو يحال بينهم لجاءوا بمثله ولا استطاعوا، ولا أدري أهو هنا يحاول أن ينال من الذين قالوا بالصرفة والإعجاز البياني في آن واحد كالجاحظ والرماني، أم إنه لم يكن يقصد ذلك لكنه رد عليهم قائلاً: -

أ. لو أصاب القوم ما منعهم من معارضة القرآن على فضله وميزته على سائر كلامهم لنقل ذلك عنهم لكنه لم يحصل.

ب. ليس من العادة أن يذعن الرجل لخصمه ويستكين له ويسكت على تقريره له ما دام يستطيع إن هو اجتهد في دفعه ورده إلا إذا علم عجزه عن ذلك، بل العادة في مثل هذا أن يدفع العجز عن نفسه، وأن يجحد الذي عرف لصاحبه من المزية ويتشدد".³

¹ ينظر المصدر نفسه، ص 138-139

² المصدر نفسه، ص 139

³ المصدر نفسه، ص 139

ج. ثم رد عليهم بنقطة تصلح لهم وقد حسنوا من شأنهم وتصلح لمن قال بالصرفة المحضة فقال: "واعلم أنهم بتمحلهم هذا قد وقعوا في أمر يوهي قاعدتهم، ويقدم في أصل مقالته، فقد نظروا لأنفسهم من وجه وتركوا النظر لها من وجه آخر؛ وذلك أن من حق المنع إذا جعل آية وبرهانا -ولا سيما- للنبوة، أن يكون في أظهر الأمور، وأكثرها وجودا، وأسهلها على الناس، وأخلقها بأن تبين لكل راء وسامع أن قد كان منع، لا أن يكون المنع من خفي لا يعرف إلا بالنظر والا بعد الفكر، ومن شيء لم يوجد قط ولم يعهد، وإنما يظن ظنا أنه يجوز أن يكون، وأن له مدخلا في الإمكان إذا اجتهد المجتهد، وهل سمع قط أن نبيا أتى قومه فقال: حجتي عليكم والآية في أي نبي إليكم أن تمنعوا من أمر لم يكن منكم قط، وليس يظهر في بادي الرأي، وظاهر الأمر أنكم تستطيعونه ؛ ولكنه موهوم جوازه فيكم إذا أنتم كددتم أنفسكم، وجمعت ما لكم، واستفرغتم مجهودكم، وعاودتم الاجتهاد فيه مرة بعد أخرى؟ أم ذلك ما لا يقوله عاقل ولا يقدم عليه إلا مجازف لا يدري ما يقول، وإذا كان كذلك، وكان الذي قالوه من أن المنع كان من نظم لم يوجد منهم قط، إلا أنهم أحسوا أنفسهم أنهم يستطيعونه، إذا هم اجتهدوا واستفرغوا الوسع بهذه المنزلة، وداخلا في هذه القضية.

فقد بان أنهم بذلك قد أوهوا قاعدتهم، وقدحوا في أصل المقالة من حيث جعلوا الآية والبرهان وعلم الرسالة والأمر المعجز للخلف في المنع من شيء لم يوجد قط ... وليس بأكثر من أن ظن ظنا".¹

وقد أفاد هذا بلا ريب مما سبق وقاله الخطابى في رسالته: "وذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه الصرفة، أي صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدورا عليها، غير معجوز عنها، إلا أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات، فقالوا: ولو كان الله -عز وجل- قد بعث نبيا في زمان النبوات، وجعل معجزته في تحريك يده أو مد رجله في وقت قعوده بين ظهراي قومه، ثم قيل له: ما آيتك؟ فقال: آيتي أن أخرج يدي أو أمد رجلي، ولا يمكن أحدا منكم أن يفعل مثل فعلى، والقوم أصحاب الأبدان لا آفة

1 المصدر السابق ، ص 140

بشيء من جوارحهم، فحرك يده أو مد رجله فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدرُوا عليه، كان ذلك آية دالة على صدقه".²

الفرع الثاني : التوابع الملحقة

تقدم الحديث أن رسالة الشيخ الجرجاني يمكن أن تقسم إلى قسمين رئيسين وتوابعهما: وهي عبارة عن ثلاثة فصول صغيرة الحجم؛ أجمل فيها الكلام، وأعاد فيها بعض ما قال في طيات الرسالة.

فصل: وقال عنده: "وهذا فصل أختم به"³ وقد عاب في هذا الفصل على منكري الإعجاز بحجج واهية، فسألهم في هذا الفصل هل قالوا ما قالوه عن علم أو لأجل المخالفة؟، فإن قالوا عن علم؛ فهل كان من نظر أم من خبر؟ فإن قالوا من نظر، فهذا يعني أنهم نظروا فوجدوا أنهم يستطيعون معارضته، وقد بلغوا أوجههم في الكمال وهذا يعني أنهم جهلوا كل من سبقهم، وان قالوا عن خبر فأين هو الخبر؟⁴

ثم نعى عليهم التسرع دون الروية، وختم بما يشعر بانتهاء الرسالة فقال: "وإليه عز اسمه الرغبة في أن يوفق للتي هي أهدى وبعصم من كل ما يوتغ -يفسد- الدين ويثلم اليقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه".⁵

ثم وضع فصلا آخر صدره بالبسملة: ولم يقل عنه أنه فصل وضع تحته شبهة أو اعتراض، مفاده أن الواحد من الناس يمكن له أن يأتي بعد زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- بما يشبه القرآن ولكنهم لن يقبلوه لانقضاء زمن التحدي.¹

وقال في رده عليها: إن هذا الكلام يصح لو كان القرآن معجزا بالصرفة، أما ما دام معجزا في نفسه، وفي نظمه، وفي تأليفه، فلا يصح ذلك الكلام ألبتة، ومعجزة القرآن لا تقل عن

2 رسالة الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 20

3 رسالة الشافية ص 141

4 المصدر نفسه ص 141

5 المصدر نفسه ص 141

¹ المصدر السابق، ص 142

المعجزات الحسية من إحياء الموتى وغيرها، ثم إن هذا القول وهذه الشبهة مؤداها إنكار أن يكون القرآن وحيا من الله وأنه كان على سبيل الإلهام والهاجس وذلك مما يستعاذ منه - والعياذ بالله-¹.

فصل: ولعله كتب هذا الفصل ملحقا ومتمما لما سبق؛ ليؤكد فيه أن إدراك إعجاز النظم القرآني يحتاج إلى قريحة متقدمة والى أدوات وعلوم، فقد تحدث فيه أن علم الفصاحة والبيان يحتاج إلى طبع سليم، وقلب حساس، وآلة يمكن بها فهم الفصاحة، وتمييز الكلام بعضه عن بعض، فلا يدعي ميزة لأحد النظمين عن الآخر من غير أن يكون له ولك الفضل،² فقال: "اعلم أن البلاء والداء العياء أن ليس علم الفصاحة وتمييز بعض الكلام عن بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت ومتى شئت، بأن لست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع إذا قدحته فيرى، وقلب إذا أريته رأى، فأما وصاحبك من لا يرى ما تريه، ولا يهتدي للذي تهديه، فأنت معه كالنافخ في الفحم من غير نار، وكالملتصم الشم من أخشم".³

وقد أفاد الزمخشري الذي أتقن تطبيق نظرية النظم في تفسيره مما قرره الشيخ الجرجاني هنا؛ عندما تحدث في مقدمة تفسيره عن شروط من يتصدى لتفسير القرآن الكريم: والبحث عن حقائقه والكشف عن دقائقه، فقال: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن الكريم، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التتقير عنهما أزمنة... وكان مع ذلك مسترسل الطبع منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها".⁴

¹ المصدر نفسه، ص 142

² المصدر نفسه، ص 142

³ المصدر نفسه، ص 144

⁴ الزمخشري (538هـ)، محمود بن عمر. (2001م.) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط2، دار إحياء التراث العربي، ج1، ص43.

الختامة

الخاتمة :

تمحور موضوع البحث حول جانب من تراث الإمام عبد القاهر الجرجاني الغني الوافر بثتى مجلاته ، وقد جاء تركيزنا على الرسالة الشافية وعلى دراستها دراسة تحليلية ، وقد خلصنا في هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- تعد الرسالة الشافية عملا عمليا أدبيا جادا في تقرير حقيقة إعجاز القرآن بنظمه ورد القول بالصرفة ، وليس للمنطق وعلم الكلام فيها بروز.
- وقع بعض المصنفين في هنات وأخطاء أثناء تحليلهم للرسالة الشافية بسبب غموض عباراتها - أحيانا - وتداخل شبهاتها وتفرعها ، وبسبب تعجل الحكم قبل قراءة الفقرات ضمن سياقاتها وسباقاتها .
- اعتمد الإمام الشيخ الجرجاني في تقرير قضايا على العلماء الذين يرجع إليهم في مثل هذه القضايا .
- أفاد الشيخ الجرجاني في استدلالاته وردود على الشبهات على معرفته بمراتب الشعراء و البلغاء وقوانين المعارضات .
- استخدم الشيخ الجرجاني منهجية علمية سليمة في أثناء العرض والتحليل و النقد تتفق مع المنهجية العلمية المعتمدة في هذه الأيام .

التوصيات :

- ونوصي من خلال هذه الدراسة بضرورة العناية بهذه الرسائل و الأجزاء والتي خطها حذاق العلماء القدامى، لما تحتويه من النفائس و الدرر، التي تحتاج إلى التنقيب عنها ، وبيانها للناس، وأن تكون هذه الرسالة وغيرها من أولى المفردات في مادة الإعجاز لطلاب الجامعات في مراحلهم الأولى .

المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد الحميد السيد التلب ، البديع بين المتقدمين و المتأخرين ، ط1، مكتبة الأزهرية للتراث .
- ابن عماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الفكري الحنبلي الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من الذهب ، دار كثير دمشق ، بيروت ، ج4، ط1، 1410 هـ / 1989 م .
- أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع ، ط3، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1417 هـ / 1996 م .
- أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان البافعي ، مرآة الجنان - دار النشر ، دار الكتاب الإسلامي مدينة النشر القاهرة ج4.
- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة دار المصرية للتأليف و الترجمة .
- أحمد مطلوب ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، ط1، وكالة المطبوعات للنشر بيروت ، 1393 هـ / 1973 م .
- أحمد مطلوب ، دراسات بلاغية ونقدية ، دار الرشيد للنشر سلسلة دراسات .
- الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ط1، 1991 م دار المدني .
- الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ط1، 1991 م دار المدني .
- الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي ، دلائل الإعجاز ، ط1، 1986 م ، دار صادر .
- الإمام فخر الدين الرازي ، نهاية الإنجاز في دراية ، ط1، 1424 هـ / 2004 م ، دار صادر بيروت .

- الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، ط1، 1384 هـ / 1985 م طبع في مطبعة عيسى الباقي الحلبي وشيركاة .
- الحافظ الذهبي ، العبر في خبر من غير ، ط1، 1405 هـ / 1985 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ج2.
- الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي - طبقات المفسرين ، ط 2 ، 1415 هـ / 1994 م ، القاهرة ، مكتبة وهبة .
- الزمخشري محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط2، دار إحياء التراث العربي ج1.
- الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1410 هـ / 1990 م .
- الشيخ عمر الطرابيشي ، شراب ألواح فيما يتوصل للغزى و المراح ، ط1، 1981 م ، دار المعارف .
- الملاحويش د- عمر تطور دراسات إعجاز القرآن و آثارها في البلاغة العربية ، مطبعة الأمة بغداد .
- بدوي طبانة البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ط4 ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- بطرس السبتاني - دائرة المعارف - دار الفكر - بيروت ، ج6.
- ثلاث رسائل في الإعجاز القرآن للرماني و الخطابي عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي ، ط3 ، دار المعارف بمصر .
- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي ، ج5 ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة .

- حفنى محمد شرف ، إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق ، كتاب الرابع 1390 هـ 1970 م المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- خلق الله محمد وسلام ، محمد زغلول ، ثلاث رسائل في الاعجاز القرآن الكريم ، مصدر دار المعارف .
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي الأعلام للزركلي ، ط1، 2002 م دار العلم للملايين ج4.
- شوقي ضيف ، بلاغة تطور تاريخ ، ط7 ، دار المعارف . محمد أبو موسى ، - الإعجاز البلاغي ، ط2، 14 18 هـ / 1997 م مكتبة وهبة .
- شوقي ضيف ، معجم الوسيط ، ط4 ، 1425 هـ / 2004 م مكتبة الشروق الدولية .
- شيخ الإسلام علم الأعلام حجة الحافظ و المفسرين سيف النظائر و المتكلمين ناصر مؤيد الملة تاج الدين أبي نصر الوهاب ابن تقي الدين السبكي رضي الله عنه ونفعنا به ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط1، ج5.
- صيفي الدين عبد المؤمن بن عبد الله البغدادي (تحقيق وتعليق محمد البجاوي) ، مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع ، دار المعرفة ، ط1 ، بيروت 1373/1954م .
- عبد الباقي عبد المجيد اليماني . إشارة تعيين في تراجم النحاة اللغوية . ط1 . 1406هـ-1986م.حقوق الطبع محفوظة لمركز فبصل للبحوث والدراسات الإسلامية .
- عبد الرحمن بن محمد الانباري ألو البركات كمال الدين . نزهة الالباء في طبقات الأدباء . دار الفكر العربي . 1412هـ-1998م .
- عبد القاهر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة 1998 م .
- عبد الكريم الخطيب ، الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها الكتاب الأول ، ط2 ، بيروت دار المعرفة .

- فؤاد علي مخيمر ، فلسفة النحوية في دلائل الإعجاز ، دار الثقافة للنشر و التوزيع شارع سيف الدين المهراني .
- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز الابدادي، البلاغة في تراجم أئمة النحو واللغة . ط1. 1421 هـ -2000م. دار سعدين للطباعة والنشر وتوزيع.
- مصطفى بن عبد الله القسنطيني الرومي الحنفي حاجي خليفة، طشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، ط1، 1990م ، دار الفكر بيروت ، ج1.
- منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ، منشأة المعارف .
- نعيم الحمصي ، فكرة إعجاز القرآن ، ط2 مؤسسة الرسالة سوريا، 1400 هـ، 1980 م .
- وزير جمال الدين حسين علي بن يوسف القفطاني . إنباه الرواة على أنباه النحاة. ط1 . 19406 هـ - 1986 م . دار الفكر العربي . القاهرة. مؤسسة الكتب . بيروت
- الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء.ط1. 1405 هـ-1984م. مؤسسة الرحالة . بيروت. شارع سوريا. ج18.
- كافي الكفاة صاحب إسماعيل بن عباد عام الكتب ، المحيط في اللغة ، ط1، بيروت 1419 هـ / 1994 م .

المخلص

الإهداء

شكر وتقدير

01.....	مقدمة
06.....	المبحث الأول : ترجمة الامام عبد القاهر الجرجاني وآثاره
06.....	المطلب الأول : حياة الإمام عبد القاهر الجرجاني
11.....	المطلب الثاني : مؤلفات الإمام عبد القاهر الجرجاني ولمحة عن جهوده
20.....	المطلب الثالث : التعريف العام بالرسالة ومنهجه فيها وقيمتها العلمية
32.....	المبحث الثاني : موضوعات رسالة الشافية (دراسة تحليلية)
32.....	المطلب الأول : إثبات إعجاز القرآن الكريم للعرب حين تحدوا إلى معارضته
49.....	المطلب الثاني : مناقشة قضية الصرفة وقد جعلها في فصل خاص
59.....	الخاتمة :
61	المصادر و المراجع :

الفهرس